سومرست موم

المأزق









الارق

سومرست موم

المأزق

المكتبة الثقافية
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
١٩٩٠

- ١ -

سوندرز

نحن الآن في بلدة قوشو ، في الجزيرة المسماة باسمها من مجموعة جزر أرخبيل الملايو في الشرق الأقصى ، وقد نزح إلى هذه الجزيرة من بريطانيا طبيب يدعى « سوندرز » منذ خمسة عشر عاماً ـ واتخذها وطناً له ، وأحبه أهلها الصينيون حباً جماً ، لأنه اندمج فيهم وأجاد لغتهم ـ وهو يعالج كل الأمراض ولكنه كان متخصصاً بالذات في طب العيون .

وكان في البلد جالية أجنبية تقيم في حي خاص ولا تختلط بأهل الجزيرة ، ولها ناديها الخاص تتردد عليه ، ولهم طبيبهم الأجنبي أيضاً ، ولم يكن هؤلاء يترددون على دكتور سوندرز إلا عند غياب طبيبهم الانجليزي أو إذا اشتكى أحدهم من مرض في عينيه .

وفي صباح ذلك اليوم الذي ستبدأ فيه هذه القصة ، زار دكتور سوندرز بعض المرضى الصينيين وفحصهم ، وكانت حالات معظمهم مزمنة ، وحالات البعض الآخر بسيطة ، وغالباً ما كان هؤلاء المرضى يشفون على يد دكتور سوندرز أو تتحسن حالتهم .

وبعد ان انتهى من عمله في الصباح الباكر ، جلس على مكتبه يتثاءب ، فلم يكن عنده ما يعمله حتى آخر النهار .

وكان عليه أن يقوم بإجراء عملية « كاتاراكت » في عين أحد كبار التجار

الصينيين ويدعى « كيم تشنج » يقيم في مدينة نائية جـــداً عن فوشو - هي (تا كاتا) .

وكان كيم تشنج صديقاً للدكتور ، وسبق أن فحصه وطلب منه أن يعود اليه لاجراء العملية عندما يحس بحالات معينة ، ولكن كيم تشنج لم يحضر في الموعد ، وساءت حالة عينيه لأنه كان يخاف من العملية ، ولأنه أصبح متقدماً في السن « سبعين سنة » وكان في غالب الأحيان عصبي المزاج ، وأصبحت الشقة بعيدة عليه .

نشأ كيم تشنج عاملاً من عمال الفحم ، ولفرط ذكائه واجتهاده ، ولحظة الحسن أيضاً أقتنى ثروة طائلة ، أسطولاً من السفن الشراعية التي تعمل في صيد اللؤلؤ ، ومارس التجارة بكل أنواعها ، كما كان من كبار الملاك للأراضي الزراعية .

وصل الجزيرة في ذلك اليوم ولدا كيم تشنج ، وكانا في مقتبل العمر ، سبق لهما التردد على فوشو ، وأقاما فيهـــا بعض الزمن ، وتربطهما بدكتور سوندرز صداقات قديمة ، فكثيراً ما كانا يقيمان له الولائم والليالي الحمراء ، ترقص فيها الراقصات الجميلات في سهرات لطيفة . وكان أهل فوشو يعرفون أن دكتور سوندرز مولع بتدخين الأفيون ، ولكن ذلك لم يكن يغير من احترامهم وحبهم له .

كان دكتور سوندرز ـ كما قلنا ـ يسكن الحي الصيني ، وتقوم فيه عيادته الخاصة ، وهي عبارة عن غرفة بسيطة وشرفة انتظار مزينة بزخارف ورسوم صينية ، وباقي أثاثها من الطراز الصيني .

حضر ولدا كيم تشنج في ذلك اليوم لفوشو ، وقابلا دكتور سوندرز : وقصا عليه ما كان من تأخر حالة الأبصار عند والدهما . وألحا عليه في الرجاء كي يسافر معهما إلى تا كاتا لاجراء العملية ، ولكن دكتور سوندرز اعتذر عن عدم أستطاعته السفر

لأنه لا يستطيع ترك مرضاه في فوشو مدة طويلة قد تصل إلى ثلاثة أشهر وكلما ازدادا في الرجاء ، ازداد هو في الامتناع ، فقالا له :

ـ إنه سينال من الأجر ما يعوض عليه ترك عيادته كل هذا الوقت ، ثم أخرج الولد الأكبر من حقيبته حافظة منتفخة بالنقود . وطرحها على المائدة . وأخذ يخرج منهـــا بعض الأوراق المالية ، وكلما زادت القيمة زاد الدكتور امتناعاً إلى أن وصل المبلغ المعروض إلى عشرة آلاف ريال .

وعندها قبل الدكتور السفر بعد أن كان يشير على ابني كم تشنج ، بأن يحضرا أحد الأطباء الهولنديين من بلدة ما كاسار أو أمبويا القيام بالعملية .

- ٢ -

تاكانا

بدأت الرحلة إلى تاكانا ، ولم تكن سهلة ، فقد قام دكتور سوندرز من فوشو على سفينة صينية إلى مانيلا في الفيلبين . وهناك بقي ينتظر عدة أيام ، ثم ركب سفينة بضائع إلى ما كاسار ، ومنها أخذ سفينة هولندية ، تمر مرة كل شهر إلى ميروك في غينيا الجديدة ، وكانت كثيرة الوقوف في بلاد متعددة اثناء الرحلة ، وأخيراً وصل إلى تاكانا ، وكان برفقته خادمه الصيني الذي يدعى « آه كاي » كان يعد له الغليون « البيبة » التي يدخن فيها الأفيون ، ويقوم بغير ذلك من الخدمات .

وقد قام دكتور سوندرز باجراء العملية التي كللت بالنجاح . ولم يبق له بعد ذلك الا أن ينتظر عودة السفينة التي حضر بها .. من ميروك .. وكانت جزيرة تاكانا كبيرة نوعاً ، ولا يتردد عليها الحاكم الهولندي الا لماماً وكان يمثل الحاكم في الجزيرة شخص من جاوة لا يتكلم الانجليزية ، ومعه بعض رجال البوليس ، ولم يكن بالمدينة الا شارع واحد ، يضم كل المحلات التجارية بعضها يمتلكه عراقيون ، والباقي التجار الصينيين .

وكان بيت المقيم الهولندي على بعد قليل من المدينة . وفي هذا البيت أقام دكتور سوندرز ، ويستطيع أن يصل الانسان اليه عن طريق ضيق محاط بالأعشاب . ثم وصلت احدى السفن الهولندية ونزل قائدها وبعض البحارة

والركاب الى حانوت كيم تشنج ، وبعد أن تجرعوا بعض زجاجات الجعة عادوا بقواربهم الى السفينة . وتركوا دكتور سوندرز جالساً في مدخل هذا الحانوت يتأمل ما حوله . وكان يجلس على مقربة منه داخل الحانوت كاتب الحانوت ــ وهو شخص قد أحدودب ظهره ــ يكب على عمل بعض المسائل الحسابية . وخادم الحانوت الذي يقدم لرواده ما يحتاجون اليه من الطعام أو الجعة .

وكان الجو حاراً جداً . والمكان الذي يقع فيه الحانوت غير نظيف ، وكان الدكتور يتأمل في أكوام القاذورات التي تحيط بالمكان . حيث الصغـــار الصينيون يمرحون في أجسام شبه عارية ، وملابس ممزقة ، والكلاب الضالة تغمس أنوفها في القمامة بحثاً عن الطعام . وأسراب الذباب تغطي تلك القمامة وأوجه الغلمان الصغار الذين لا يكترثون أقتراحها على وجوههم . ودجاجات هنا وهناك في وسط تلك القمامة تثير التراب بأظافرها بحثاً عن قوت .

ولم يلاحظ الدكتور تردد أحد على الحانوت لشراء شيء ، وبالرغم من أن الوقت كان يمضي متثاقلاً فإنه لم يشعر بالملل لأنه كان يتأمل فيما حوله ويتجرع زجاجة الجعة التي بين يديه في بطء .

- ٣ -

الكابتن نيقولا

وفي أثنـــاء ذلك رفع الدكتور ناظريه على مفاجأة ، اذ أبصر شخصين أوربيين قادمين في الطريق المترب ، ولم يرَ أثراً لسفينة ، ولذلك دهش من ظهورهما لأنه لم يعرف كيف حضرا ، وكانا يسيران في تراخ ينظران يمنة ويسرة ، تشعر حالتهما بأنهما قدما الى الجزيرة للمرة الأولى .

يرتدي كل منهما سروالاً وقميصاً وقلنسوة ، ولباسهما غير نظيف .

ثم صعدا الى حيث يجلس الدكتور ، وخاطبه أحدهما قائلاً :

ـ أهذا متجر كم تشنج ؟

ـ نعم .

ـ أهو موجود ؟

ـ لا . انه مريض .

ـ يا لسوء الحظ ، كنا نحب أن نأخذ مشروباً !

ـ هذا ممكن .

ثم التفت المتكلم الى زميله وقال :

ـ أدخل .

ودخلا .

فقال الدكتور :

ـ ماذا تريدان !

فقال أحدهما

ـ أريد شيئاً من الجعة « البيرة » .

وقال الآخر :

ـ وأنا أيضاً .

وأمر الدكتور الخادم أن يقدم لهما ما طلبا ، فأعد الخادم مائدة حولها بعض مقاعد وقدم لهما الجعة .

كان أحد هذين الشخصين نحيفاً . متجعد الوجه . أبيض الشعر صغير الشارب ، متوسط الطول ، أسنانه متآكلة تراها حينما يتكلم ، عينان غير مستقرتين ، وفي حدقتيهما ما يشبه الاصفرار مما أضفى على نظراته . نظرة الثعلب . ولكن مسلكه لم يكن عليه أي غبار .

سأل الدكتور :

ـ من أين قدمتما

فقالا :

ـ قدمنا تواً على شراع من جزيرة راتداي

ـ وهل كان الطريق حسناً ، والجو معتدلاً .

ـ كأحسن ما يكون النسيم عليل . ولم يكن في البحر أي شيء متعب ، أن اسمي نيقولا ، الكابتن نيقولا ربما سمعت عني .

ـ لا أستطيع أن أقول اني سمعت عنك !

ـ اني أجوب هذه البحار منذ ثلاثين عاما وما من جزيرة في هـذا الأرخبيل الا وزرتها أكثر من مرة وأنا معروف جيداً في هذه المنطقة ، ومعروف لكيم تشنج أيضا منذ عشرين عاما .

فقال الدكتور :

ـ اني غريب عن هذه البقاع

فنظر اليه كابتن نيقولا ، وقد إنفرجت أساريره ، وكانت نظرته توحي بأن شيئا مريبا هناك .

ثم قال :

ـ يبدو لي اني سبق أن رأيتك في مكان ما

فابتسم دكتور سوندرز ولم يقل شيئا .

فقطب كابتن نيقولا حاجبيه كمن يحاول أن يتذكر شيئا خاصا بهذا الرجل النحيل . كان الدكتور قصير القامة لا يتجاوز طوله ستة أقدام ـ نحيلا ، ولكن في تناظم . يداه ناعمتان بضتان ، ولكنهما صغيرتان تنبآن عن أصل عريق وعيش ناعم .. ولكن منظره كان قبيحا : أنف أفطس وفم واسع ، وإذا ضحك ظهرت أسنانه غير نظيفة وغير منسقة .

شعر الحاجبين من النوع الكث الثقيل له عينـــان براقتان مائلتان إلى الخضرة . يوحي لون وجهه بالجد .. تبدو عليه طيبة السريرة .

وكان شعر رأسه على ما يبدو أسود غزيراً خشنا . وقد حال الآن إلى البياض . وكانت نظراته مثيرة رغم ما تبدو عليه بساطة تنم عنها ابتساماته وهو ممن لا يأخذون الأمور بظواهرها .

ولما التزم الدكتور الصمت . عاد نيقولا يقول

ـ هذا صاحبي فريد بليك .

وأبدى الدكتور علما بذلك .. في انحناءة بسيطة

ثم قال الكابتن مخاطبا الدكتور :

ـ هل في نيتك البقاء هنا طويلا ؟

فقال الدكتور :

ـ أنا أنتظر وصول البريد الهولندي .

ـ من الجنوب أو الشمال .

ـ من الشمال .

ـ ما أسمك .

ـ أنا لم أذكر لك اسمي .

فقال الكابتن :

ـ لقد طفت المحيط .. وكنت دائماً ألقي الأسئلة على من يقابلني .

ثم ابتسم وقال :

ـ انهم يقولون تجنب السؤال تسلم من الاجابات الكاذبة . تقول أن اسمك سوندرز .

أنا قابلت أشخاصاً كثيرين بهذا الإسم ، والله يعلم أن كان هـــذا هو اسمهم الحقيقي .

ـ ثم ما حال العجوز كيم تشنج عسى أن يكون بخير . كنت أود أن أراه لنتبادل الحديث .

فقال الدكتور :

إن نظره قد ضعف ، وأجريت له عملية كتاراكت .

عند ذلك اعتدل كابتن نيقولا في جلسته ورفع يده وقال :

ـ يا دكتور سوندرز .. أنا أعرف إني سبق أن رأيتك في فوشو . فقد كنت هناك منذ سبع سنوات .

ثم مد يده مصافحاً .. فصافحه الدكتور . ثم التفت كابتن نيقولا إلى صاحبه وقال :

ـ ان كل من يعرف دكتور سوندرز .. يعلم انه أكفأ طبيب عيون في الشرق الأقصى .. هذه شهرته .

ولقد كان لي صديق مرة يشكو من مرض في عينيه ، وقيل له انه لن يبرأ من هذا المرض وسيصبح يوماً ما فاقد البصر ، واقد تردد صاحبي هذا على دكتور سوندرز ، وبعد مرور شهر - أصبح بصره عادياً مثلي ومثلك .. والصينيون هنا يحلفون به .

ـ يا دكتور سوندرز ، ان هذه مفاجأة سارة ، فقد كنت أظن أنك لم تفارق فوشو .

فقال الدكتور :

ـ هأنذا فعلت الآن ، وفارقت فوشو .

فقال الكابتن :

ـ هذا من حسن حظي ، فإنك حقاً الرجل الذي كنت أريد أن التقي به

ثم انحنى الكابتن مقترباً من الدكتور وقال :

ـ أنا أقاسي كثيراً من آلام عسر الهضم !

فصاح فريد بليك قائلاً :

ـ يا لله !

وكانت هذه أول مرة يتكلم فيها فريد بليك . ثم استدار اليه الدكتور محدقاً فيه وهو مستغرق في مقعده ، يقرع أصابعه في حالة توحي بالسأم ، وكان بليك شاباً طويلاً نحيفاً ، أجعد الشعر ، ذا وجه يميل للحمرة ، وعينين كبيرتين تنمان على انه لم يتجاوز العشرين ، وانه وان كان يلبس ثوباً من القطن الخشن ، إلا أن هيئته تنم عن انسان مهذب

هذا ما ارتسم في نفس الدكتور عنه وكان له أنف معتدل مستقيم رغم جميل ، ثم ابتسم والتفت اليه الكابتن نيقولا ، وقال :

ـ أخرج أصابعك من فمك يا فريد ، تلك عادة قذرة

فابتسم فريد وقال :

ـ نعم ، دعنا نستمع إلى مسألة عسر هضمك .

وعند ذلك قال الكابتن :

ـ نعم ، أنت تهزأ بمرضي ، لأنك لا تشعر بما أقاسيه ، انه مرض يكاد يقتلني .

ثم استمر الكابتن في شرح ما يعانيه من هذا المرض . ويقول أن سببه سوء اختيار لما يأكل . وانه تناول الكثير من الأدوية ، ولكن بدون جدوى

ثم استطرد فريد قائلاً :

ـ استمر في شرح حالتك الدكتور .

فجعل هذا يشرح الدكتور حالته . وما أخذه من الدواء وهو نصحت له ، ثم قال :

ـ انك أنت الطبيب الذي يمكنه معالجتي وشفائي .

فقال الدكتور :

ـ ليس في إمكاني الإتيان بالمعجزات . ولا يمكن لأي طبيب أن يشفيك في وقت قصير . لا سيما وان مرضك شبه مزمن .

فقال نيقولا :

ـ أعلم ذلك . ولكني أرجو أن تصف لي علاجاً . وترشدني إلى ما يجب أن أتبعه .

فقال الدكتور :

ـ وإلى متى تبقيان هنا .

فقال الكابتن :

ـ أن وقتنا ملكنا .

فرد بليك قائلاً :

ـ ولكنا سنسافر متى قضينا ما نريد .

ثم تبادل الكابتن وفريد نظرة خاطفة لاحظها دكتور سوندرز . الذي لم يفت عليه أن في الأمر سراً غريباً . ثم قال لهما :

ـ ما الذي دعاكما للمجيء إلى هنا .

فملت وجه فريد بليك الحيرة . ونظر إلى الدكتور نظرة جعلته في حيرة كذلك ، وربما في تخوف ، ولدهشته رأى أن الكابتن هو الذي تولى الإجابة

حيث قال :

ـ أنا عرفت كم تشنج منذ سنوات عدة ، وكان في حاجة إلى بعض السلع، ورأينا أن نمر عليه لنأخذ بعض المؤن ولنرى ماذا يريد .

فقال الدكتور :

ـ أنتما تشتغلان بالتجارة .

فقال الكابتن :

ـ أعني إنه إذا صادفنا أي شيء لائق . فلماذا نضيع الفرصة شأننا شأن كل انسان يبتغي الرزق الحلال .

فقال الدكتور :

ـ وما نوع البضائع التي تحملانها .

فقال الكابتن :

ـ شيء من كل شيء .

ثم ابتسم الكابتن في مكر ، ابتسامة برزت منها أسنانه المتآكلة ، وخطر الدكتور انه ربما كانا يقومان بتهريب الأفيون .

ثم قال لهما:

ـ يبدو انه ليس في نيتكما التوجه إلى ماكاسار بأي حال .

فقال الكابتن :

ـ ربما نذهب .

قال بليك وقد لمح على المائدة جريدة :

ـ وما هذه الجريدة .

فقال الدكتور :

ـ تلك جريدة قديمة . أحضرتها معي عند نزولي من السفينة يوم وصلت .

فقال بليك :

ـ أليس معك أي صحف من استراليا .

فقال الدكتور :

ـ لا

ـ ولكن الدكتور نفى هذا في غمغمة .

فقال فريد:

ـ ألا تتضمن هذه الجريدة أي أنباء من استراليا .

فقال الدكتور :

ـ هذه الجريدة هولندية .. ومع أي حال فستصلنا جريدة يوم الثلاثاء .

وهنا تجهم وجه بليك قليلاً .. أما الكابتن فقد غمغم في خبث وقال :

ـ ليس هذا المكان هو الوحيد من نوعه في العالم الذي ينفع للاختفاء .

فقال بليك للدكتور :

ـ ألا توجد هنا اي صحف انجليزية .

فقال الدكتور :

ـ يحدث من حين لآخر ان تصل جرائد انجليزية من هونغ كونغ ، او من غيرها بطريق الصدفة . ولكن بعد مرور شهر من تاريخ صدورها .

فقال بليك :

ـ ألا يوجد هنا مكاتب تلغرافات سلكية أو لاسلكية ؟

.. لا توجد

وعند ذلك قال كابتن نيقولا :

ـ اذا رغب إنسان في الاختفاء عن أعين البوليس فإني أعتقد أن هـذا المكان هو أنسب ما يكون لهذا الغرض .

فقال الدكتور :

ـ على كل حال ، إلى وقت ما ..

ثم قال بليك :

ـ هل يمكن يا دكتور ان تأخذ زجاجة أخرى من الجعة !

فقال الدكتور :

– لا أظن ، فإني عائد الى الاستراحة ، وإذا كان يمكنكما الحضور معي للعشاء هناك ، فليس لدي ما يمنع ، فقد أستطيع أن أقدم لكما المأكولات .

وتوجه بهذا الكلام إلى بليك معتقداً انه سيرفض ولكنه تلقى الاجابة من كابتن نيقولا الذي قال :

– نعم ، هذا حسن ، وبذلك نكون قد غيرنا نوع الطعام الذي نتناوله في الشراع ..

فقال بليك :

– لكنا سنسبب لك بعض القلق ..

– لا شيء من ذلك ، وسألتقي بكما هنا في السادسة .

ثم قام وانصرف مسلماً ..

— ٤ —

الدكتور سوندرز

لم يعد الدكتور بعد ذلك مباشرة إلى الاستراحـــة ، لاعداد المائدة لضيوفه لأن فكرة استدعائه لهما نشأت فجأة في سياق الحديث ، وقد عزم على ألا يعود إلى فوشو سريعاً ، ورأى ان يتوجه إلى جاوه لقضاء نوع من الاجازة هناك حيث قد مضى عليه وقت طويل لم يتغيب في إجازة . وقد بدا له ان يذهب معهما إلى ما كاسار او أي مكان في أية جزيرة ، من تلك الجزر التي يترددان عليها . ومنها يذهب إلى أي مكان يريده ، وقد كان في نيته ان يقضي بعض أسابيع أخرى في تا كانا ، عندمـــا لم يكن في الامكان السفر منها ، لكنه أصبح ولا حاجة لكم تشبع به . وإذا سنحت فرصة له الآن في السفر ، فلا داعي لأن تفلت منه ، خصوصـاً وانه أصبح لا يطيق البقاء في تا كانا ، أكثر من ذلك .

ثم أخذ طريقه إلى البحر في الطريق المريض الموصل له ، والممتد نصف ميل ، ولم يكن هناك مرفأ .. وحيث تقوم أشجار الكاكاو على حافة الماء ، يتخللها أكواخ أهل الجزيرة ، والأطفال الصينيون يمرحون حولها والخنازير تبحث عند جذوع الشجر عما تأكله . وعلى ذلك الشاطىء المرجاني امتدت بعض المظلات تلمع تحت ضوء الشمس المحرقة التي تكاد تلسع قدميك رغم انتعالك الحذاء. ثم أنواع السمك الكابوريا الذي يقفز أمامك أينما سرت. وكان

على بعد مئات الياردات شراع راسي في ذلك الماء العميق الصافي . كذلك كانت إحدى سفن كيم تشنج راسية هناك، وعلى مقربة منها يقف شراع كابتن نيقولا وزميله .. كان شكله قبيحاً بجانب شراعات كيم تشنج الأنيقة . وكان هذا الشراع يبدو لصغر حجمه انه غير صالح لاجتياز المحيط مما جعل دكتور سوندرز يقف حائراً يرنو بنظره إلى السماء التي كانت صافية .. وكان الجو هادئاً جداً ، وعلى مقربة منه فوق الشاطىء قارب صغير يبدو انه هو الذي نزل منه كابتن نيقولا وصاحبه إلى الشاطىء ولم يتبين الدكتور وجود أحد في الشراع . وبعد ان فحص المكان كله بدقة قفل راجعاً إلى استراحته ، فوجد الخادم يهيىء الطعام بينما جلس هو بعض الوقت يقرأ في كتاب

بيد انه لم يكن مولعاً بقراءة القصص إلا فيما هو خاص بغرائب الطبيعة البشرية ، ولذلك سرعان ما طوى الكتاب وقد انتابه الملل ، بالرغم من ان له في وطنه مكتبة كبيرة تضم بين دفتيها كل ما يتعلق بالصين ، وما كتبه المبشرون عنها .

وقد تعرف دكتور سوندرز خلال إقامته بالشرق على آلاف من الشخصيات مما لم يكن من الصعب عليه ان يضع معه كابتن نيقولا في وضعه الصحيح . إذ تدل لهجة كابتن نيقولا على انه من الانجليز الأقحاح وإنه وان كان قد طال مقامه في المناطق الصينية ، إلا انه ليس هناك ما يسيء سمعته في بلاده . فعدم الأمانة والخداع كانتا من أبرز ما تنطق بهما ملامحه ولم يستطع ان يقتني ثروة لأنه كان متعلقاً باهداب شراعه الصغير .

ثم تنهد دكتور سوندرز طويلاً ، مظهراً السخرية .. عندما مر بذهنه أن الشخص المعوج لا ينال من الخير إلا على قدر ما يقدمه من عمل ، ولكن يبدو ان كابتن نيقولا كان دائماً يفضل العمل غير النظيف على غيره وهو لم يكن محلاً للثقة إلا فيما يزري ، لقد كان من طراز الرجال الذين لا يجدون غضاضة في القيام بأي نوع من العمل . وقد ذكر انه يعرف كيم تشنج لأنه يبدو

أنه كان كثير التعطل ، فهو لهذا كان يقوم بأي عمل مريب . وربما كان عمله كقائد لإحدى سفن كم تشتبح في يوم ما من هذا النوع . وعلى كل فإن دكتور سوندرز لم يكن يبغض كابتن نيقـــولا لما يتصف به من الرقة والأدب .. وبرغم ما به من نذالة ، فلديه ناحية غير شريرة .. وقد شمله بعطفه ، بسبب مرضه .

وقد ارتاح الدكتور إلى لقـــاء هذين الشخصين ، لا للفائدة العلمية أو الانسانية ، ولكن للتسلية ولمعرفة الغرائز الانسانية ، وكان مثله في ذلك مثل الرياضي الذي يرتاح عندما يوفق إلى حل إحدى المسائل الرياضية . فلم يعر ما يسمعه منهما أي التفات ، لكن كان يشعر بالراحة النفسية لوجوده معهما. ولقد أتيحت له بهذه المنـــاسبة فرصة التعرف على بعض طوايا الناس ، والحكم على تصرفاتهم . وكان دكتور سوندرز أبعد الناس ميلاً عن الأذى ، فلم يكن من خلقه تجريح آراء الغير ، إن لم توافق رأيه .

إن كثيراً من الناس ينغمسون في الرذائل ، ويكرهون من يخالف رأيهم . وكان من خلق دكتور سوندرز انه لا يتأثر من الخلق غير الكريم إلا بقدر ما يحدثه في نفسه منظر القبيح الذي يراه عند عمـــل عملية جراحية ، وليست الرذيلة والفضيلة عنده إلا كالجو المعتدل والجو غير المعتدل . فهو يتقبلهما على علاتهما دون تحمس لأيهما ، ثم ينتهي به الأمر بعد ذلك الى الضحك في غير ما تأثر بأيهما .

وقد كان شخصية يسهل عليك التفـــاهم معها ، غير انه لم يكن له أصدقاء رغم تظرفه ، لأنه لا يهتم بذلك ، ولا يسعى اليه ، وكان في طوية نفسه لا يرضى عن أحد مكتفياً بذاتيته ، ويرى ان سعادته من عمل نفسه وحده .. ولذلك كان أنانياً ماكراً ، لا يعبأ بأحد . والذين يعرفون عنه هذا هم قلة أحبوه رغم هذه الخلال ، ولم يقف أحد منهم في طريقه أبداً لتعففه واكتفائه الذاتي

والمال في نظره لم يكن كل شيء .. ولذلك فلم يكن يهتم إذا قصر أحد مرضاه في دفع أجره ، وكان مرضاه وغيرهم من الناس ، سواء في نظره ، سواء أعالج أحداً أم لم يعالج ، وإن كان يشعر بالغبطة لمجرد نجاح علاجه .

يرى الناس كلهم ككتاب متعدد الصفحات . يقلبه ليدرس فيه الطبائع المختلفة ، وهم جميعاً سواء في مآسي هذه الحياة ، التي لا تنتهي عادة بالموت .

وقد كرس حياته لتخفيف آلام الغير .. في غير مباهاة بالمثل العليا التي اعتاد الناس التمشدق بعباراتها .

- ٥ -

الرسول

بعد ان تناول دكتور سوندرز طعامه ، آوى الى مخدعه ، واستلقى على سريره ، لكنه لم يستطع النوم بسبب شدة الحر . وجعل يفكر في تلك الرابطة التي جمعت بين كابتن نيقولا وفريد بليك ، فإنه لم يستطع ان يقرأ في عيني بليك انه من رجال البحر ، رغم زيه البحري . وكان من العسير أن يفهم الانسان حقيقة أمره . فهو يتكلم الانجليزية بلهجة استرالية . ولكن لا يبدو عليه انه من عامة الشعب ، ويظهر انه نال قسطاً من التعليم غير قليل ، طيب الأخلاق على ما يبدو ، وربما كانت عائلته أثرت من الاتجار في الممنوعات .

لكن بقي ان تعلم سبب اختياره للتجول في هذه البحار الموحشة ، على مثل هذا الشراع الصغير ، ويصحبه شخص خطر مثل كابتن نيقولا ! هذا هو السر الخفي .

ربما كان الرجلان شريكين في التجارة ، هذا أمر لا يزال غير واضح ، وإن كان الدكتور يعتقد انها تجارة غير شريفة . ومهما يكن من أمر ، فالظاهر ان بليك لم يكن صاحب النصيب الأوفر في هذه التجارة .

كان العرق يتصبب غزيراً من جسم دكتور سوندرز ، رغم انه كان عارياً ، يضع وسادة قشية كما يفعل الناس هناك للحد من مضايقة العرق ، لكنه ما لبث ان القى بها بعيداً واستلقى على ظهره .

وكان المكان محوطاً بأشجار الكاكاو التي كان يأوي اليها الكثير من أنواع الحشرات المختلفة ، في أزيز يصم الآذان ، كأنما هي عصا تدق جسم النائم لتوقظه . إلى ان يئس الدكتور من محاولة النوم .

وتأزر بالساري وخرج الى الشرفة مرة أخرى . وهي لم تكن أحسن حالاً من الغرفة حتى يكاد المرء يختنق لشدة الحر . وكان مكدوداً يلهث من شدة الحر تتوارد على خاطره الأفكار المضنية المتعبة التي يكاد ينفجر لها رأسه .. حاول أن يخفف شدة الحر بأخذ حمام ولكن دون جدوى . وقد حالت شدة الحر بينه وبين القراءة ، وهكذا سار الوقت متثاقلاً كأنه مقيد بالحديد .

وأخيراً استرعى انتباهه وقع أقدام قادمة وإذا برسول من قبل كيم تشنج يدعوه للذهاب اليه رغم أنهما كانا معـــاً في صباح ذلك اليوم . ولم يجد جديد يستدعي الزيارة ، لكنه ارتدى ملابسه وتوجه مع الرسول .

كان كيم تشنج قد نمى اليه وصول هذا الشراع ومن عليه ، وكان يريد أن يعلم ذلك من دكتور سوندرز ، لأنه علم انه اجتمع بهما وان كابتن نيقولا قد أرسل لدى وصوله الى كيم تشنج يطلب مقابلته ، ولكن كيم تشنج اعتذر لمرضه وفي الوقت نفسه أراد ان يتبين حقيقة الأمر من الدكتور ، لأنه علم أن في نيتهما البقاء في الجزيرة بضعة أيام .

فأخبره الدكتور انهما يريدان السفر فجراً لأنه ليس في الجزيرة وسائل الاتصال بالخارج

فقال كيم تشنج ، انه علم انه ليس على قاربهما أي بضائع سوى شحنة من الجير .

فأردف الدكتور قائلاً لكيم تشنج :

- حتى ولا الأفيون ؟!

فابتسم كيم تشنج عند ذلك وأومأ الدكتور برأسه مؤكداً .

فقال الدكتور

ـ ربما كانت الرحلة للنزهة ، لأن نيقولا يشكو كثيراً من آلام معدته من وقت طويل وطلب مني ان أعالجه .

وهنا أظهر كيم تشنج استهجانه للأمر ، وعثر على الحل وتذكر ان نيقولا كان منذ نحو عشر سنوات يعمل على إحدى سفنه ، ثم استغنى عنه ، على أثر خلاف بينهما . ولم يذكر كيم تشنج شيئاً عن هذا الخلاف وقال :

ـ ان نيقولا رجل قذر ، وقد كان يستطيع أن يلقي به في السجن .

وهنا فهم الدكتور أن العلاقة بين الرجلين غير طيبة . وان نيقولا يعمل بصفة غير قانونية .

ثم ختم تشنج حديثه قائلا للدكتور :

ـ قل له إرحل . وليرحل سريعاً

- ٦ -

المحاورة

كان الليل قد بدأ يرخي سدوله ، عندما عاد دكتور سوندرز إلى متجر كيم تشنج ووجد نيقولا وفريد بليك يجلسيان الجمة ، فصحباه إلى الاستراحة العشاء .

وكان السكابتن يحكي ذكرياته عن رحلاته ، وهي تدل على الذكاء والدهاء ، واعتصم فريد بليك بهدوئه وصمته .

أما دكتور سوندرز ، الذي بدا عليه انه تورط في هـــذه الدعوة ، فقد أدخلهما الى غرفة الجلوس ، ثم نادى خادمه ، فأحضر زجاجة ويسكي وبعض الأقداح .

وهنا أبدى نيقولا عدم رغبته في شرب الويسكي .. لأنه فيا يعتقد يؤذي الصحة

فقال له الدكتور :

ـ إذاً ما الذي أستطيع تقديمه لك ؟

وأخرج من جيبه بعض الحبوب ، ومزجها ببعض الماء ، وناولها لنيقولا ليشربها ، لأنها ستمنع عنه التعب الذي يحس به في معدته ، بعد العشاء ..

ثم تناولوا بعض الويسكي على أنغام الجرامفون ، وقد بدا على وجه

بليك بعض الجد ، وهو يستمع الى الشريط ، ووضع مكانه مقطوعة موسيقية وجلس يستمع في طرب ، وكان أثناء ذلك يختلس النظرات الى الدكتور الذي تظاهر بعدم ملاحظته .

أما كابتن نيقولا فظل طيلة الوقت يتأمل فيما حوله .. وقد كان مدار الكلام عن كم تشنج وغيره ممن يعرفهم في فوشو وشنغهاي وهونغ كونغ ، وحكاياته عن جلساته على موائد الشراب في تلك البلاد .

ثم أحضر الخادم العشاء ، وتناول نيقولا طعاماً خفيفاً ، كما وصفه ، وهو عبارة عن قطعة من اللحم ، وبعض الخضروات والمثلجات ، واكتفى بهذا قائلاً :

– إنها وجبة بسيطة وخفيفة وقوية في نفس الوقت .

وقال :

– إن أي إنسان يشعر بالتعب الذي يلاقيه من معدته ، لا يجد طعماً لحياته .

ثم قال :

– أتعرف جورج فوهان ، انه كان مثـلي يشكو عسر الهضم .. وفي إحدى المرات كان مسافراً على إحدى السفن ، وشعر بمثل هذه الحالة ، فانتحر شنقاً . وقد يكون مصيري مثله في يوم ما . إن كاي طباخ ماهر وقد قال فريد أنه عوضنا عن أكلنا الرديء في السفينة ، المكون من الطعام المعلب الذي نأكله طول الرحلة .. حقاً إن الصينيين طهاة مهرة بالفطرة وهذا الأكل لم نأكل مثله منذ خمسة أسابيع .

وعندها تذكر دكتور سوندرز ما سبق أن ذكراه من أنهما أتيا من جزيرة ترزداي ، التي لا تبعد عنهم إلا أسبوعاً واحداً ، إذن كان البحر هادئاً

ثم سألهما الدكتور عن أمر هذه الجزيرة .

فقال الكابتن :

— إنها جحيم لا تجد فيها غير الماعز . إن الجو يتغير فيها كل ستة أشهر منهكة القوى والأعصاب .

وكان أثناء كلامه ، يختلس النظر إلى الدكتور ، ليرى وقع حديثه في نفسه !!

ثم نظر الدكتور إلى الفتى وقال له :

— حسناً ، هل أنت تقيم في تلك الجزيرة ؟

فأجاب على الفور :

— لا .

وهنا أسرع نيقولا إلى القول بأن لدى فريد مالاً غير كثير يرغب في استثماره ، ولذلك جاء يبحث عن طريقة لاستغلاله . وأنا أدرى بتلك الجزر ، وأرى أن الفرصة لمثل هذا الشاب برأس ماله البسيط غير مشجعة كثيراً ، ولو كنت مكانه لاشتريت مزرعة .

ثم قال نيقولا :

— من الممكن الاشتغال بصيد اللؤلؤ أيضاً . والعمال الوطنيون هنا كثيرون . فما عليك إلا ان تجلس وتأمر .. يا له من أمر جميل لشاب ناشيء .

ثم تركزت عينا الكابتن الماكرتين على الدكتور ، وكان من السهل عليه ان يرى أثر هذا الكلام ، ووقعه على الدكتور الذي فطن الى أن كلا الرجلين قد رتب هذه الرواية في تلك الأمسية ..

ولما لاحظ نيقولا أن هذا الكلام لم يرق في نظر الدكتور ، ضحك ضحكة ظافرة .. فإنه لو صدق الدكتور هذا ، لضاعت الفرصة من الاقتصاء به .

ثم استمر قائلا :

ـ لذلك قد جئنا إلى هذا المكان ، وليس في هذه الجزر كلها ما يجهله كم تشنج ، وقد خطر لنا أن نقدم له بعض الأعمال ، ولذلك طلبت إلى خادم المتجر أن يبلغه بوجودنا .

فرد الدكتور :

ـ أنا أعرف ذلك ، لأنه أخبرني به

فسأل نيقولا :

ـ هل رأيته ؟ هل قال لك شيئاً عني ؟

فرد الدكتور :

ـ نعم انه يطلب اليك ان ترحل حالاً .

فسأل الكابتن :

ـ لماذا ؟ وماذا بلغه عني ؟

فرد الدكتور :

ـ انه لم يذكر لي السبب .

فقال نيقولا :

ـ حقاً ، انه قد وقع بيننا خلاف ، لكن هذا الأمر قد مضى عليه وقت طويل . وأعتقد انه لا داعي لأن يتأثر بذلك الآن !! والمثل يقول « إصفح وانس » ذلك هو رأيي .

من هذا ترى ان نيقولا من ذلك الطراز من الناس الذي يسيء الى الغير ويطلب منه النسيان ، والعفو عن الاساءة . وقد فهم الدكتور فيه هذه النزعة بصفة خاصة . ثم قال له :

ـ أنا أعرف أن ذاكرة كم تشنج قوية .

ثم تناول الكلام شئوناً شتى بعد ذلك .

وفجأة قال نيقولا :

ـ ألا ترى اني لن أحس الليلة بسوء الهضم ؟ قل لي ما هذه المادة

التي اعطيتها لي .

ـ انه مركب بسيط وجدته مفيداً في مثل حالتك .

ـ كنت ارجو ان تعطيني منه قدراً اكبر !

ـ قد لا يفيدك بعد ذلك . ان ما يلزمك هو العلاج

فقال الكابتن :

ـ هل تعتقد انه في امكانك ابرائي من هذا المرض

فرأى الدكتور ان فرصته سانحة . وقال

ـ لا استطيع الجزم بذلك . ولكن إذا امكنني ملاحظة حالتك لبضعة ايام فقد استطيع ان افعل شيئاً لك .

ـ لقد فكرت في البقاء هنا بعض الوقت لهذا الغرض هل أنت في عجلة ؟

ـ ولكن ما العمل مع كم تشنج ؟

فقال فريد:

ـ دع هذا جانباً ، إننا لا نريد على متاعب في هذه الجزيرة .. سنرحل باكر

فقال نيقولا موجهاً الكلام إلى بليك :

ـ وماذا يهمك أنت ؟ أنت لا تشكو مما أشكو منه .. أنا سأذهب إلى كم تشنج باكر لأرى ما الذي أثاره علي ؟

فقال بليك

ـ ولكنا راحلان في صبيحة الغد .

وقال الكابتن :

ـ لن أرحل إلا إذا قلت أنا ذلك

ثم تبادلا النظر هنيهة .

فابتسم الكابتن ابتسامته الماكرة ، وأما فريد فقد علا وجهه الغضب ،

وعند ذلك أقحم الدكتور نفسه في هذا الخلاف ، وقال :

ـ لا أظنك تعرف عن الصينيين يا كابتن مثل ما أعرف . فـانهم إذا أرادوا بك شراً فلن يمنعهم عنه أن تطلب ذلك منهم .

ولكن الكابتن ضرب المائدة بقبضة يده وقال :

ـ إن المسألة بيني وبين كيم تشنج كانت خلافاً على نحو مـائتي كويد ، وهو على جانب عظيم من الثراء ، فما أهمية مثل هذا المبلغ بالنسبة اليه ؟

فقال الدكتور :

ـ ألا تلاحظ ان أشد ما يؤلم الخونة ، أن يخونهم أمثالهم ؟

فملأ الغيظ وجه نيقولا وقطب جبينه في حنق ، ولمـــا فطن ان الطبيب لاحظ ذلك مال برأسه إلى الوراء ضاحكاً .. وقال :

ـ هذا الكلام حسن يا دكتور ، أنا أحييك لأنه لا يعنيك ما تقول .. انه إذا أتيحت لك الفرصة للاستفادة من البلاهة ألا تستغلها . ولا شك ان ان كل إنسان يخطيء أحياناً .. ولكن لن تستطيع دائماً معرفة ما ستتمخض عنه الأمور في المستقبل .

فقال بليك

ـ إذا أعطاك الدكتور جرعة أخرى من هذا الدواء ، ووصف لك ما يجب أن تفعله ، ففي ذلك الكفاية .

فاسترد الكابتن هدوءه ، ثم قال الطبيب :

ـ لا .. لن أفعل ذلك ، ولكني ضقت ذرعاً بالبقـاء في هذه الجزيرة ، وإذا أخذتموني معكما إلى تيمور أو ما كاسار ، أو سريابايا فسأقدم كل ما يلزم من العلاج .

فقال الكابتن نيقولا :

ـ هذا رأي حسن ..

فرد فريد قائلاً :

— هذا رأي فاسد .

فقال الكابتن :

— لماذا ؟

— انه غير مصرح لنا بنقل ركاب

— يمكننا تعيينه على السفينة .

— ليس لدينا الوسائل الكافية لذلك

— أعتقد ان الدكتور ليس غريباً .

وقال الدكتور :

— إني سأحضر طعامي وشرابي وأستطيع الحصول من محل كم تشنج على بعض المأكولات المعلبة وكثيراً من الجعة .

فقال بليك

— ليس هذا هو المهم .

وقال الكابتن :

— اسمع أيها الفتى ، من الذي يعطي الأوامر على هذه السفينة ؟ أنت أم أنا ؟

فقال بليك

— إذا وصل الجدل إلى هذا الحد فأنا الذي أعطي الأوامر .

وقال الكابتن :

— اطرد هذا من رأسك يا بني ، أنا الكابتن وما أقوله هو الذي ينفذ .

وقال فريد

— من صاحب هذه السفينة ؟

— أنت تعلم ذلك جيداً ..

فنظر اليها الدكتور سوندرز في ذهول ، فقد أحاط بعينيه الفاحصتين كل شيء ، وفقد الكابتن كل ادبه ، واحمر وجهه وبدا على وجه الفتى غضب

شديد ، وهو يقبض يديه ومد رأسه إلى الأمام .. وقال :

ـ انا لا اقبله على السفينة .. ولكني ..

فقال له الدكتور :

ـ إن هذا لن يضرك في شيء ، انها خمسة او ستة ايام ، ونتصرف بعدها انك إذا لم تأخذني معك فالله وحده هو الذي يعلم كم ابقى هنا .

وقال بليك

ـ هذا رأيك انت .

فقال الدكتور :

ـ وماذا عنك ضدي ؟

فقال فريد :

ـ هذا من شأني .

فألقى عليه الدكتور نظرة تساؤل ، فان بليك لم يكن غاضباً فحسب .. بل كان عصبياً واصفر وجهه الهادىء اللطيف . وكان لا يجد معنى لركوب الدكتور السفينة ، ففي هذه البحار لا يعبأ أحد بمثل هذه الأمور ، ان كم تشنج قال انه لا يوجد على السفينة بضائع . ولكن ربما كان عليها من البضائع ما لا يشغل حيزاً كبيراً مما يساعد على إخفائه ، فان المورفين والكوكايين لا يحتاجان إلى مكان واسع ، ولكن إذا بلغت شحنة من هذا النوع.. إلى المكان المرسلة اليه ، فانك ستنال أجراً .

ثم قال الدكتور في رقة :

ـ انك ستسدي إلى معروفاً كبيراً .

فقال فريد :

ـ أنا آسف ، أنا لا احب ان ابدو إنساناً فاسداً ، ولكني ونيقولا لدينا مأمورية وليس في إمكاننا ان نخالف خط السير لانزال شخص في مكان معين ، لا نحب الذهاب اليه ..

فقال نيقولا

.. لقد عرفت الدكتور منذ عشرين عاماً ، وهو رجل مستقيم .

– إن عينيك لم تقع عليه إلا هذا الصباح .

– انا اعرف عنه كل شيء .

ثم فغر فاه ، وبانت منه اسنانه المتآكلة والتي بدا للدكتور انها تستحق الخلع ، واستمر يقول :

– إذا كان ما سمعته حقاً ، فإنه لا يعلم عنا شيئاً يذكر .

ثم القى بليك على الدكتور نظرة فاحصة :

– كان يطيب لك أن تنفذ من وراء صرامتها إلى معنى ابتسامته اللطيفة .

وقد قابل الدكتور هذه النظرة بتبير اكتراث .

ولم يكن من السهل معرفة ما إذا كانت هذه النظرة ادت ما يقصد بها ام ان الدكتور لم يفهم ما ذهب اليه نيقولا من وراء هذا الكلام ، ثم قال الدكتور :

– انا لا اعني كثيراً بما يخص غيري

فقال الكابتن :

– عش ودع غيرك يعش .

وقال بليك

– إني عندما أقول لا ، فإني أعني ما اقول .

– لقد اتعبتني ، ليس في الأمر ما يخيفك !

– ومن الذي قال إني اخاف شيئاً .

– انا الذي اقول .

– ليس هناك ما اخشاه .

وكانا يتراشقان الكلمات بسرعة ، وازداد تهيجهما .. ولم يفهم دكتور سوندرز هذا السر الذي بينهما . ولكن يبدو انه خاص بفريد اكثر مما هو

خاص بالكابتن . لأنه في هذه المرة لم يكن في ضمير نيقولا امر مستتر ! وفهم ان نيقولا ليس من الرجال الذين يسهل على اي إنسان إيداع السر عندهم ولم يكن سبب ذلك باديا ، ولكن الطبيب كان عنده إحساس بذلك . واياً كان الأمر فيبدو ان الكابتن نيقولا لم يكشف السر بعد . ولكن فريد ارتاب في وجوده . وكان الطبيب بطبيعة الحال حريصاً على السفر فوق هذه السفينة . ورأى انه ليس ثمة ما يدعو لليأس قبل الأوان .. ورأى ان يبذل بعض المحاولات ، بغية الوصول إلى غرضه ..

ثم قال لهما :

– ارجو ان تعرفا اني لا اريد ان اكون سبباً في حدوث اي شقاق بينكما فإذا كان بليك لا يريد ان اسافر معكما ، فلا داعي للتحدث في هذا الأمر بعد ذلك .

فقال الكابتن :

– ولكني اريد ان تسافر معنا .. إنها فرصة نادرة بالنسبة لي كواحد في المليون ، إذ اجد على وجه البسيطة انساناً يستطيع علاجي مما انا فيه من مرض .

ثم اكمل :

– فهل تراني اتكاسل حتى تفوتني مثل هذه الفرصة ، أو نصفها ؟

فقال بليك

– انك تعنى بحالتك اكثر من اللازم ، وارى انك إذا أكلت ما تريد دون أن تفكر في ذلك المرض فستشفى .

فقال الكابتن :

– اتعتقد ذلك ؟ إنك تحاول ان تعلمني انك اعلم مني بحالتي .. انت لا تعرف ان قطعة صغيرة من الخبز الجاف أحس بها في معدتي كأنها قنطار من الرصاص ؟ اظنك ستقول لي ان هذا من قبيل الوهم !

فقال بليك : إن الوهم اشد فعلاً مما تظن .

فقال له الكابتن :

— انك ابن ..

فقال فريد:

— اني اقول انك مثل ذلك ..

فقال الدكتور :

— دعونا من هذا الكلام ..

فصرخ الكابتن قائلاً :

— إن هذا الملعون اثار الموضوع ثانية ، إني منذ ثلاثة شهور وانا اقاسي مرارة هذه الحالة ، والآن فان اثارتها على هذه الصورة ستكون السبب في موتي فهي تسري إلى معدتي فوراً .. اني مجموعة اعصاب ، هكذا كنت ، كنت اريد ان اتمتع ولو مرة واحدة بأمسية سارة ، ولكنه حطمني الآن ، ان عسر الهضم الذي ينتابني من القسوة بمكان ..

فقال الدكتور :

— انه يؤسفني ان اعلم ذلك .

فقال :

— ان الجميع يقولون مثل هذا القول ، واني اكثر حساسية من الأطفال ، وقد عطف الدكتور كثيراً على الكابتن بعدئذ ، وقال ان الأمر كما كنت اتوقع يحتاج الى الملاحظة ، وان معدتك بحاجة الى الفحص ، ولو سافرت معكما على السفينة فسيكون كل همي ان اعلم كيف يعمل السائل المهضم في معدتك ، وهذا لا يعني ان ستة او سبعة ايام كافية للعلاج العاجل ، ولكني سأمهد الطريق للوصول إلى الشفاء .

وقال الكابتن :

— ولكن من الذي قال انك لن تسافر معي على السفينة .

فقال الدكتور :

– ان بليك يقول ذلك ، والظاهر انه هو الرئيس المتصرف ؟

وقال الكابتن

– اتعتقد ذلك حقاً يا سيدي ، انك مخطىء ، انا الرئيس وما اقوله هو الذي سينفذ ، احزم متاعك واحضر الى السفينة صباح غد فانني سأقيد اسمك كبحار على السفينة

فقال بليك :

– لن تستطيع عمل هذا .. فإن سلطتي لا تقل عن سلطتك وانا اقول لن يسافر فلا اريد احداً مطلقاً على السفينة ، وهذا قول نهائي ..

وقال القبطان :

– حسن هكذا تقول ، ثم ماذا تفعل اذا ارسيت السفينة على ارض انجليزية ؟ انت يا بني شاب مغرور .

وقال بليك

– احترس مما سيترتب على عملك هذا

فقال القبطان

– اتعتقد اني اهتم بك . ألا تعلم اني طوفت بكل هذا العالم قبل أن تولد انت ، دون علم ما ينبغي .. هل تحاول ان تقتلني ، وفي هذه الحالة من الذي سيقود السفينة ، انك لا تعرف شيئاً في شؤون قيادة السفن .

ثم عاد بليك الى التهديد مرة اخرى بقبضة يده ونظر الرجلان احدهما للآخر ، ولكن نظرة القبطان كانت مليئة بمعاني السخرية لأنه يعلم انه اذا حزب الأمر فسيكون هو صاحب الكلمة .. وعند ذلك خرجت من فريد زفرة قصيرة ، ثم قال بليك للدكتور .

– الى اين تريد الذهاب ؟

– الى اي جزيرة لأنتظر مرور سفينة هولندية ، اسافر عليها .

فقال القبطان :

ـ حسناً . تعال معنا الى اي مكان لأنه افضل لك من البقاء هنـــا وقتا طويلاً ..

ثم القى بليك على القبطان نظرة احتقار تابعها بالضحك .. ثم عن نظرة ساذجة .. وقال القبطان :

ـ هذا حسن يا بني ، سنقوم من هنا حوالي العاشرة صباح غد .. أهذا يناسبك يا دكتور ؟

فأجاب :

ـ نعم .

- ٧ -

آه كاي

إنصرف ضيوف الدكتور مبكرين وأستلقى على مقعد من الخيزران بجواره .

وأخذ يقرأ ثم نظر إلى ساعته ، وكانت بعد التاسعة بقليل . وفي العاشرة نادى خادمه الذي يدعى « آه كاي » وأخبره عن اعتزامه السفر على تلك السفينة . فأومأ الخادم برأسه موافقاً ، لأنه كان يسره التزوح من هـــذا المكان .

ومما يجدر ذكره أن هذا الشاب التحق بخدمة الدكتور وهو في الثالثة عشرة من عمره ، وكان يفيض أمانة ونشاطاً ، والآن وقد اقترب من العشرين ما زال مثال الحيوية ، ودماثة الخلق ولم تمض إلا هنيهة حتى طوى الدكتور كتابه ونادى :

— آه كاي .

فحضر الخادم وأعد الدخان لسيده فأخذ هذا يدخن في شوق ولذة . يحبس الدخان في رئتيه قليلاً .

ثم لا يلبث أن ينفخه . ثم يعيد الغليون إلى الخادم ليفرغ ما فيه ، ثم يعيد تكرار هذه العملية مرة ثانية وبعد ذلك يذهب الخادم ويأتي له بأبريق من الشاي المعطر برائحة الياسمين ، ويصبه في القدح فتطغى رائحة الشاي الزكية

على رائحة التبغ الخانقة . ثم يستلقي الدكتور على مقعد طويل مسنداً رأسه إلى وسادة ، وقد زاغ ببصره إلى سقف الغرفة ، وراح في صمت عميق .

أما « آه كاي » . فقد أشعل لنفسه سيجارة ، وتناول آلة موسيقية تشبه البانجو . وأخذ يلعب عليها فتحدث أصواتاً موسيقية رقيقة تتجاوب في الهواء . وهذه النغمات تبدو لعدم تماسكها ، كأنها مقدمة لقطعة موسيقية . كانت غير تامة التنسيق ، ورغم هذا كانت أشبه بباقة الورد التي تضم ألواناً مثيرة من الزهور . ولكنك كنت تسمع منها بعض الانغام المتناثرة من هنا وهناك . فتثور في نفسك أكثر مما تطرب لها أذنك .

رفع الخادم بصره . في ابتسامة حلوة سريعة أشرقت معها أساريره وسأل سيده عما إذا كان مستعداً للتدخين ، فوافق .

ثم وضع الخادم صفارته الموسيقية على الأرض ، وأعاد اشعال المصباح وجهز للدكتور الغليون ، فدخن عدة مرات « إلى أن وصل إلى الحد الذي اعتــــاده ، وكان يدخن بانتظام ، ولكن باعتدال ، ثم اضطجع واسلم نفســه لأفكاره

أما آه كاي فقد جهز لنفسه هو أيضاً ترجيلتين ودخنهما ، ثم أطفأ المصباح بعد ذلك ، واستلقى على حصير ، وقد أسند رأسه على قطعة من الخشب ، ثم غاب في نوم عميق .

أما الدكتور فقد جعل يتأمل في هدوء تام لغز هذا الوجود غير شاعر بنفسه ، إلا تحت تأثير احساس غير واضح بانه موجود فيـــه . وذلك تحت تأثير انتعاشه بحيث أصبح ينظر إلى جسده في اشفاق كمن ينظر إلى صديق يثقل عليه .

ولكنه كان مخلصاً في حبه . وكأن ذهنه في غاية اليقظة . وكان في نشاطه الاستقرار والحزم . يفكر في قوة راسخة كما يفعل أحد كبار علماء الطبيعة وهو يمشي بين نماذجه .

شاعراً عن نفسه بأن روحه أضحت غاية في الجمال . إذ انهـا في ذاتها هدفه . وهو في هذا ملك زمانه ومكانه .

ليس هناك نظرية يتعذر عليه حلها بحد ، كل شيء أمامه واضحاً بسيطاً جداً . ولكنه يقول .

ـ ان من الغباء محاولة التغلب على متاعب الوجود ، إذا لم تتوافر عندك تلك الرغبة الدقيقة في معرفة ما يجب أن تعرفه تماماً في الوقت المناسب !

- ٨ -

السفر

كان من عادة دكتور سوندرز ان يستيقظ من النوم مبكراً ، ومـــا أن ظهرت طلائع الفجر ، حتى خرج إلى الشرفة ونادى آه كاي ، فأحضر له طعام الإفطار وفاكهة الموز ، وطبق البيض المقلي الذي كان لا يستغني عنه والخبز المقدد والشاي .

ثم أكل الدكتور بشهية . وكان لا بد له بعد ذلك أن يحزم امتعته . وكانت قليلة . ولف آه كاي ملابسه في شكل طرد من الورق البني وملابس الدكتور في حقيبة ضيقة صفراء من جلد الخنزير .

أما الأدوية فقد وضعها مع الأدوات الطبية في صندوق من الصفيح متوسط الحجم وكان على السلم أربعة من الخــــدم الصينيين . وبعض المرضى الذين فحصهم وهو يتناول الإفطار ، وأخبرهم بعزمه على السفر في ذلك الصباح . وبعد ذلك توجه إلى منزل كم تشنج الذي كان يقع في مزرعة بها الكثير من شجرة الكاكاو .

وكان بيتاً يسترعي النظر ، فقد كان أكبر بيوت الجزيرة ، كثير الزخارف والنقوش الفنية التي اكسبته جمالاً طغى على ما جاوره من دور . ولم يكن به حديقة ، وكانت الأرض حوله تتناثر عليها علب الطعام المحفوظ . تلمع هنا وهناك ، ويتجول من حولها الدجاج والأوز والخنازير .

تبحث كلها عن فضلات من الطعام لتأكلها . وكان البيت مؤثثاً على الطراز الأوربي ، وعلى جانبيه أشجار البلوط برائحتها المنيفة .

وبالبيت تلك المقاعـــد الهزازة الأمريكية التي تراها في فنادق الغرب . والموائد الصغيرة المتنقلة المغطـــاة بالمفارش ، وجدرانه مزينـــة بالصور الفوتوغرافية المكبرة التي احتوتهـــا اطارات ذهبية لكم تشنج وأفراد عائلته الكثيرين .

وكان كم تشنج فارع الطول – بديناً – يوحي منظره بالاحترام ، يرتدي بنطلوناً من التيل الأبيض ، تتدلى منه سلسلة ساعة من الذهب الخالص ، وقد سر كثيراً من نتيجة العملية .

فقد أصبح يستطيع أن يبصر بدرجة لم يكن ينتظرها . وعلى كل حال فانه كان يريد أن يبقى دكتور سوندرز في الجزيرة مدة أطول .

ولما رآه قال له :

– إنها لحماقة منك أن تسافر على مثل هذه السفينة .

– إنك هنا مستريح ، لماذا لا تنتظر لا تيأس ومتع نفسك ، والأفضل أن تنتظر قدوم سفينة هولندية . فإن نيقولا رجل سيء جداً .

فقال الدكتور :

– وأنت يا كم تشنج لست رجلاً طيباً جداً .

فرد كم تشنج على هذه التحية ، وقد انفرج فمه عن صفين من الأسنان الذهبية بابتسامة واسعة بطيئة لم تحمل طابع عدم الموافقة . انه أحب الدكتور ويحمل له العرفان بالجميل ، لكنه لما رأى انه لا توجد طريقة لاقناعه بالبقاء لم يعارضه .

والقى عليه الدكتور تعليماته الأخيرة واستأذنه في الانصراف ، وقد رافقه كم تشنج حتى الباب ، ثم افترقا ، وتوجه الدكتور إلى القرية واشترى مـــا يلزمه من الزاد اللازم لرحلته .

وكان عبارة عن كيس من الأرز ، وبعض الموز والأشياء المملحة والويسكي والجعة ، وأخبر الحمال أن يوصلها إلى السفينة وينتظره هناك .

ثم رجع الى الاستراحة ، وكان آه كاي مستعداً وبجواره أحد الموزين حيث كان يريــــد ان يظفر بقليل من الأجر في نقل الأمتعة ، وعند وصول الدكتور الى الشاطىء وجد أحد أولاد كم تشنج هناك ، جاء ليودعه ، وقد قدم للدكتور لفافة من الحرير الصيني تحية الوداع ، ولفافة أخرى مربوطة بورق عليه أحرف صينية ، وجعل الدكتور يفكر فيا تكون محتوياتها ، وقال :

– شهدو « شاي » .

فرد الإبن قائلاً :

– ان هذا صنف ثمين ، وقد لا يكون لديك منه ما يكفي لرحلتك .

وكانت السفينة ساكنة ، كأن لم يكن بها أحد ، ولم يكن القارب الصغير مرئياً على الشاطىء ، فنادى الدكتور بصوت مرتفع ، ولكن الصوت كان رقيقاً . ومتحرجاً – بعض الشيء – ولم يسمع أحد

فحاول آه كاي وابن كم تشنج النداء ، ولكن لم يسمعها أحد ، فركب آه كاي والدكتور محفة صغيرة ، وقام أحد الوطنيين بدفعها الى المـــاء ، ثم نادى الدكتور بصوت عال :

– كابتن نيقولا .

فظهر على النداء فريد بليك .

وقال :

أهو أنت ؟ أن نيقولا ذهب الى الشاطىء لاحضار ماء .

فقال الدكتور :

– لم أره

فلم يقل بليك شيئاً أكثر من ذلك ، ثم صعد الدكتور الى ظهر السفينة

وتبعه آه كاي ونارلها الخادم امتعتهما ، وقال الدكتور :

- أين المكان الذي أضع فيه متاعي ؟

فقال بليك :

- هناك في الكابينة .

وأشار بيده ، فنزل الدكتور الى المخزن .

وكان سقف الكابينة غير مرتفع – لا تتمكن من الوقوف بكامل قامتك فيه – كما كان غير متسع ، وكانت مؤخرة الشراع الكبير تخرج من سقفه ، حيث كان يوجد على حائطه مصباح يخرج منه الدخان ، وكان به مخدعان صغيران ، وعلى بعد منهما مخدع الكابتن ، وبليك ، أما المكان الوحيد الذي وجده الدكتور معداً له ، فكان عند مدخل المخزن ، ثم صعد الى سطح السفينة وأمر آه كاي ان ينزل حصيره وحقيبته الى المخزن

وقال الدكتور لبليك :

– انقل امتعتي الى مخزن السفينة .

فقال بليك :

– اننا نضع حاجاتنا في الكابينة ، مر خادمك ان يضع متاعك هناك ، ثم نظر الدكتور حوله ، ولم يكن لديه أي معلومات عن البحر . اللهم إلا رحلة قام بها في نهر « الراين » على ظهره باخرة ، وكانت هذه السفينة تبدو صغيرة بالنسبة الى الرحلة الطويلة التي سيقوم بها ، اذ ان طولها لا يتجاوز الخمسين قدماً ، وهذا ما يبدو غير متسق مع هذه الرحلة ، وكان يريد ان يوجه الى بليك جملة اسئلة ، ولكنه انصرف .

وكانت حالة بليك تدل على انه غير مرتاح لوجود الدكتور رغم انه وافق أخيراً ، وكان على سطح السفينة مقعدان من الخيش ، جلس الدكتور على احدهما ، وبعد قليل ظهر فتى أسود قوي الجسم وشعره الأشعث الجعد قد عمه المشيب .

وقال :

– ان القبطان قادم .

ونظر الدكتور إلى حيث أشار هذا الفتى فرأى قارباً صغيراً يقترب ؛ ورأى القبطان نيقولا يقبض على الدفة . بينما كان شخصان يجدفان ولما وصلوا إلى السفينة صاح القبطان قائلاً للبحارين :

– تقدما بالبراميل .

وتقدم شخص ثالث لمساعدتهم ، ثم قفز القبطان إلى ظهر السفينة وصافح الدكتور وقال :

– هل استقررت يا دكتور واسترحت ، ان هـــذه السفينة « الفنتون » ليست من سفن المحيط ، ولكنها من أحسن قوارب البحر التي تجدها ، وهي كفء لكل شيء .

ثم القى نظرة سريعة على سفينته الصغيرة ، وارتاح إلى كل شيء فيها .

ثم قال .

– حسناً ، سنسافر

ثم أعطى أوامره في قوة ، وتولى البحارة أعـــداد الشراع ، الرئيسي والشراع المساعد ، استعداداً للسير ، وخرجت السفينة من المكان الذي كانت فيه ، وكانت السماء صافية من كل الغيوم ، والشمس تضرب بأشعتها ، البحر اللامع والريح النسيمية تهب معتدلة ، وبدأ شراع السفينة يتفتح تدريجياً بالهواء ، وبعض طيور النورس تطير حول السفينة في شكل دائري واسع ، وبين حين وآخر تقفز من الماء بعض الأسماك ، وتغطس ويتناثر الماء من حولها ، وبدأ الدكتور في القراءة وتدخين السيجار .

وكان كلما تعب من القراءة ينظر إلى البحر وإلى الجزر المغطاة بالخضرة التي يمرون بها ، وبعد برهة سلم القبطان الدفة إلى أحد البحارة ، ثم ذهب إلى جانب الدكتور ، وقال

— سترسو الليلة في بادو على بعد أربعين ميلاً ، ونحن في الاتجاه الصحيح ، وهناك يوجد مرسى للسفينة ، ان هذه الجزيرة غير مأهولة ، ولكننا سنمضي فيها الليل فقط .

ثم قال الدكتور :

— يبدو ان بليك ما زال غير راض عن وجودي معكم .

فقال القبطان :

— لقد دار بيننا جدال الليلة الماضية في هذا الشأن

فقال الدكتور :

— وما هو ؟

فقال القبطان :

— انه ما زال صغيراً .

فعرف الدكتور من هذا ، ان القبطان أقر وجهة نظره ، وعرف كذلك انه إذا كشف لك انسان عن كل خواصه فقد نلت ثقته ، وانه سيزيد من مصارحتك بالكثير فيما بعد .

ثم جعل يسأل القبطان عن صحته ، ولم يكن هناك ما يستطيع الدكتور التكلم فيه بإفاضة أكثر من موضوع الصحة ، ثم أخذه الدكتور إلى الكابينة وفحصه بدقة ، وبعد ان انتهى من الفحص وعادا إلى سطح السفينة كان البحار الأسود « توم أوبي » وهو طاه وأمين المخزن في الوقت نفسه يجهز لهم العشاء ونادى القبطان على فريد ثم جلسوا ، وقال نيقولا مشيراً إلى الطعام :

— هذا يبدو حسن الرائحة وكشف توم غطاء حلة الحساء .

فقال له نيقولا :

— يبدو ان هذا الطعام جيد .

فقال الدكتور :

— أنا لا استبعد ان يكون خادمي قد ساهم في الطهو .

- اعتقد انه لا يمكن الأكل من هذا يا دكتور ؟

ثم ابتلع كمية كبيرة من الأرز واللحم كانت في طبقه - ثم قال :

- ما رأيك في هذا يا فرد ، يبدو لي اننا سنسر من وجود الدكتور معنا ؟ ان هذا الطعام افضل مما يعمله « توم » وسأقول له ذلك .

وأكلوا بشهية ، ثم أشعل القبطان غليونه ، وقال .

- إذاً لم أتألم بعد هذه الأكلة فإني سأقول انك طبيب عجيب

فقال الدكتور .

- لن تشعر بألم

فقال القبطان .

- ان الذي أتعجب له كيف ان طبيبا مثلك يقيم في بلد مثل فوشو ؟ باستطاعتك ان تعمل ثروة في سيدني .

فقال الدكتور :

- أنا مرتاح في فوشو ، إني أحب الصين .

فقال نيولا .

- ولكنك درست في انجلترا ، اليس كذلك ؟

- نعم .

فقال نيقولا .

- انه لأمر يدعو إلى السخرية . ان تكون على كل هذه المعرفة ، ثم تقيم في قرية صينية حقيرة مثل فوشو . ألم تكن تكسب كثيراً في لندن ؟

وجعل الكابتن يتفحص وجه الدكتور بعينين قلقتين وهو يحاول - أي الكابتن - تصنع الابتسام ، ولكن الدكتور لم يكترث لهذا الكلام ولم يبد عليه أي انزعاج ، ثم انفرج فم الكابتن عن ابتسامة عريضة . ظهرت منها اسنانه القذرة ، وكانت عيناه توحيان بالتفكير والخبث .

ثم قال القبطان :

ألا تنوي العودة مطلقاً إلى لندن ؟

ـ لا ... لماذا أعود ؟ ان فوشو هي وطني .

ـ انا لا ألومك . إذا أردت ان تعرف رأيي . فإن لندن قد انتهت . ففيها كثير من اللوائح والقوانين على ما أرى . ولم لا يتركون كل انسان وشأنه ... هذا ما كنت أريد أن أعرفه ... انك لست مسجلاً هناك . اليس كذلك ؟

القى القبطان هذا السؤال فجأة . كأنه يريد ان يفاجأ به الدكتور ولكنه صادف من هو كفء له ، ثم قال الدكتور .

ـ ماذا تقول يا قبطان ... ألا تثق بي ؟

فقال القبطان :

لو إني لا أثق بك ... لما كنت معنا هنا .

قالها في جد وحزم ... والتسجيل أمر يخصك شخصياً . ثم قال نيقولا :

أنا أعلم ان في هذه المنطقة بين بومباي وسيدني لا يوجد شخص يضارعك وان كان ما يقال هو الحق . وحده . فانه لن يدهشني ان كنت مكثت في لندن طويلاً ولم تجـــد من يلتفت اليك . اني اعلم انك حصلت على ارقى الشهادات ، وقيل لي انك لو بقيت في لندن لأصبحت الآن بارونا .

فقال الدكتور :

ـ أنا لا يهمني ان اخبرك ان لدي من الشهادات ما ليس لدى احد غيري !

فقال نيقولا :

والعجيب ان اسمك غير مدرج فيما يسمى . الدليل الطبي !

ـ وما الذي جعلك تظن ذلك ؟

ـ ان شخصاً في سيدني اخبرني انه بحث فيه عن اسمك ولم يجده . عندما ذكر اسمك لواحد من زملائك الأطباء . وقال عنك انك مذهل ، ومن باب الفضول اراد معرفة ذلك .

ـ قد يكون صديقك كشف عن اسمك في دليل خاطيء .

فتمتم القبطان نيتولا في مكر ، وقال :

— ربما يكون ذلك . فأنا لم افكر في ذلك .

— على كل حال أنا لم اكن يوماً مسجوناً يا قبطان .

فاستفز ذلك القبطان ، وكظم غيظه ، وغيّر مجرى الحديث . فقد اطلق الدكتور بهذا الكلام طلقة في الظلام ، ثم لمعت عيناه فضحك القبطان .

— هذه كلمات لا بأس بها يا دكتور ليس عندي أكبر منها ، ولكن يوجـــد كثير ممن ذهبوا الى السجون . بغير جريرة ، بينما هناك الكثير لم يدخلوها ، وكان جديراً بهم ان يدخلوها .

ونظر كلاهما الى صاحبه ، ثم تضاحكا .

فقال فريد بليك :

— علام تضحكان !

- ٩ -

في الجزيرة

وعند المساء أبصروا الجزيرة التي قرر نيقولا قضـــاء الليل بها . وكانت كمخروط مغطى حتى قمته بالأشجار . فكانت كأنها إحدى التلال في لوحة من لوحات بيرو ويلافرانســكا . ثم دارت السفينة حول الجزيرة إلى ان عثروا على المرفأ الوارد ذكره في الدليل البحري ، وكان عبـــارة عن كهف لائق للغرض ، وكان الماء به رائقا . ترى في قاعة المرجان والسمك ، ولم يكن هناك ما يدل على سبق رسو أي سفينة في ذلك المكان .

فقال فريد :

- ما هذا ؟

وبدأ يمجب ، فقد كان الدخول إلى مثل هذا المرسى (الكهف) شبه أمر غريب وكان الساحل الأخضر الماثل فوق هذا الكهف ، كأنه يحميه في هذه الأمسية الباردة .

ورست السفينة وقد طوي شراعها ، ولم تكن مما يشرح الصدر . وكانت هناك سفينة أخرى في هذا المكان المنعزل . وقد تناول الكابتن منظاره وجعل ينظر إلى السفينة الراسية ، فوجد ان اسمها بورت داروين ..

وقال الكابتن :

- أنا لا أعرف سبب وجود هذه السفينة في هذا المكان . إنه يوجد

في جزر أورو الكثير من أمثالها .

ثم رأوا بحارتها ومن بينهم رجل أبيض ، فنظر اليهم ، وفي الحال تدلى من السفينة قارب ونزل به . وتبادل كابتن نيقولا الاشارة مع قبطان السفينة وانتقل إلى سفينة نيقولا ، وقال ان القطاس الياباني الذي على سفينته مريض ، وقد كان الكابتن في طريقه إلى إحدى الجزر الهولندية ، بحثاً عن طبيب ، فقال له نيقولا :

— إن على ظهر سفينتنا طبيب .

فطلب هذا الكابتن الاسترالي من دكتور ساندرز الذهاب معه لفحص المريض ، وقدموا له الشراب فرفض ، وتناول قدحاً من الشاي .. ثم سأله فريد بليك :

— هل معك جرائد أسترالية ؟

— عندي نشرة مضى عليها شهر من الزمن .

— لا بأس ، إنها تعتبر حديثة بالنسبة لنا .

— وهو كذلك سأرسلها لك مع الدكتور .

وعرف الدكتور فوراً أن البحار مصاب بنوبة دوسنتاريا حادة ، وكان مريضاً جداً ، فأعطاه حقنة وقال للكابتن .

— إنه ليس هناك ما يعمل له إلا ان يترك في هدوء .

فقال الكابتن :

— لعنة الله على هؤلاء اليابانيين، إن أجسامهم ضعيفة جداً . إذاً لا يمكنني الاستفادة منه إلا بعد وقت .

— إذا قرضنا .

ثم تصافحا وعاد الدكتور إلى السفينة ، وقبل ذهابه قال له الكابتن :

— إنتظر قليلاً لأحضر لك الجريدة .

وبعد قليل عاد الكابتن وبيده جريدة اسمها سيدني بولتين والقاها في القارب

وكان فريد ونيقولا يلعبان الكريباج عند عودة الدكتور ، وكانت الشمس تغرب ولون البحر الهادىء أشبه باللون الأصفر وألوان أخرى متعددة منها الأزرق والأخضر والأرجواني والقرمزي .

وسأل نيقولا الدكتور :

– هل فحصت هذا البحار جيداً ؟

إن حالته رديئة جداً .

– هل هذه هي الجريدة ؟

وأخذها فريد من يد اكتور واتجه إلى الأمام .

فقال له نيقولا :

– ألا تريد أن تلعب ؟

– كلا ، لا أريد .

أنا وفريد نلعب هذه اللعبة كل ليلة والحظ يلازمه ولا ندري مقدار ما يربحه مني ، انه لا يمكن ان يستمر الحال هكذا ، سيتغير حالاً .

ونادى :

– يا فريد . فريد .

– لحظة .

فهز القبطان كتفيه وقال .

– لا أخلاق ، أنت متشوق للاطلاع على جريدة .

فقال الدكتور :

– وجريدة قديمة منذ شهر . كم مضى منذ تركنا جزيرة برزداي ؟

– لم نذهب إلى تلك الجزيرة .

– كيف هذا ؟!

– ما أمر هذه الجزيرة ؟

لا أدري .

ثم نادى القبطان :

— توم أوبي .

فجاء مسرعاً اليهما يحمل قدحين وبعض الماء .

وأحضر نيقولا الويسكي وغربت الشمس وزحف الليل بهدوء فوق الماء الساكن . وكان هذا السكون لا يقطعه إلا صوت قفز الأسماك في الماء . ثم أحضر توم أوبي مصباح الهواء ووضعه فوق سطح السفينة ونزل إلى الغرفة السوداء في أسفل السفينة ، وقال الدكتور :

— لا أعلم ماذا يقرأ فريد طول هذا الوقت ؟!

فقال نيقولا :

— في الظلام ، ربما كان يفكر فيما يقرأ .

ولكن عندما لحق بهما فريد ، وجلس ليكمل ما قطعه من اللعب ، لاحظ الدكتور على ضوء المصباح الخافت ان لونه أصفر ، ولم يحضر الجريدة معه . وقام الدكتور لاحضارها فلم يجدها وطلب من خادمه أن يحضرها ، فلم يجدها أيضاً . فكلفه بالبحث .

وقال نيقولا موجهاً الكلام إلى فريد :

— يا له من حظ عجيب لك يا فريد .

وكان نيقولا يخسر دائماً.. وقد سكن وجهه وتجمد ، وكان ينظر إلى ورقة (كارت) بنظرة استهزاء ، ولكن فريد كان يلعب بروح مرحة ، وبدا على ضوء المصباح شكل وجهه الجانبي وكان جميلاً جداً وتدلى شعره على خديه ، فبدا رجلاً ظريفاً ، وكان يتمتع بجمال حزين ، ولكنه مثير . ثم عاد آه كاي وقال انه لم يجد الجريدة .

فقال الدكتور :

— أين تركت الجريدة يا فريد ؟ إن خادمي لم يجدها .

— أليست هناك ؟

ـ كلا ، أنا وكاي بحثنا عنها ولم نجدها .
ـ لا أعلم أين ذهبت .

وقام مسرعاً ، فقال نيقولا :
ـ هل ألقيتها في البحر بعد قراءتها ؟
ـ أنا ؟ لماذا أفعل ذلك ؟

ـ إذاً لا بد ان تكون الجريدة في مكان ما .
فقال نيقولا :
ـ هيا نلعب ثانياً . اني لم أصادف إنساناً له مثل هذا الحظ .

- ١٠ -

ذكريات

الساعة الآن بين الواحدة والثانية صباحاً ، وها هوذا الدكتور سوندرز يجلس فوق السطح على أحد المقاعد ، بينما نيقولا وفريد بليك ينام كل منهما في مخدعه في الكابينة .

لقد كان السكون شاملاً ، والكواكب متألقة ، ومكان السفينة في الجزيرة أضحى واضحاً كل الوضوح .

وقد بدا للدكتور أن بلدة تكانانا أصبحت على بعد شاسع منهم .. مع ان المسافة التي قطعوها لم تزد على الخمس وأربعين ميلاً . وفي المقعد شرد دكتور سوندرز بأفكاره الى لندن ..

يتصورها أيام كان يتعلم بها قبيل الحرب ، بملاهيها ومقاتنها ومسارحها وأضوائها الباهرة . في حي بيكاديللي وشانتسبري وشهرنج كروس . وتخيل سياراتها التي تملأ الطرقات ، وهذا الزحام عندما يخرج الجمهور من الملاهي يتدافع . وذلك المكان الذي كان يتردد عليه في صباه ، والذي كانوا يطلقون عليه اسم الجبهة (الفرانت) حيث تزدحم المناكب ، وتتلاقى العيون ويمتلىء الجو بالمغامرات .. ثم انفرجت شفتا الدكتور عن ابتسامة لهذه الذكريات .. ولكنه لم يأس على الماضي ، لأنه لا يأسى على شيء في الحياة ..

ثم انتقل بخياله الى مدينة فوشو ، وتصور موقع البلدة ، بمنازلهـــا المردحة ومعابدها الكثيرة ، ونهر — ين — والجسر المار فوق النهر والصيادون يتنقلون تحته بزوارق الصيد ، والحمالون يسيرون طول النهـار بأحمالهم . وهؤلاء الصينيون غادون رائحون .

ثم نظر نحو السفينة الراسية في الجزيرة التي عـــاد فيها الشاب الياباني المريض الذي يصارع الموت ، ولم يكن الدكتور يميز أهمية الحياة الانسانية لأنه قضى عمراً طويلا بين هؤلاء الصينيين . وكان هذا الغلام المريض يعتنق مذهبا يرى من خلاله أن أمواج البحر الآخذ بعضها برقاب بعض ليست كلها موجة واحدة ، بل انها تتوالد وتتدافع والموجة الأولى غير الموجة الثانية ، وإن كانت منبثقة منها . وإن هـذا هو شأن الناس في تتابعهم في هـذا الكون ، فإننا نحن أبناء اليوم غيرنا بالأمس ، وغير أبناء الغد وان الذي يجمعنا هو أصل واحد .

وكان الدكتور ، في تلك الليلة ، دائب التفكير وسط جو الرحلة يجول بفكره بلا هدف .. شأنه شأن الطيور وحيتان البحر التي كانت تعلو فوق الماء ثم تغوص تحته

وسمع الدكتور وقع أقدام آتية ، فإذا هو الكابتن نيقولا .

فصاح :

كابتن .

فقال :

— نعم ، لقد صعدت إلى هنا لأستنشق بعض النسيم .

ثم جلس بجوار الدكتور وقال :

— هل دخنت ؟

فقال له :

نعم

فقال الكابتن :

— إني في الواقع لم أحاول هذا النوع من التدخين .. إنهم يقولون انه يريح المعدة ، ولكني أعرف صديقاً سبب له ضرراً كبيراً ونقل الى المستشفى ، وفقد عمله الذي كان فيه . وكان يشغل مركزاً ممتازاً في إحدى الشركات ، الى أن آل به الأمر أن يعمل عملاً بسيطاً ، لا يتقاضى عليه أكثر من نصف دولار في شنغهاي .

وساد صمت بعد ذلك ، وأخذ نيقولا يدخن غليونه .

ثم قال :

— ماذا عن فريد ؟

فقال الدكتور :

— إنه نائم على السطح .

فقال نيقولا :

— إن أمر هذه الجريدة عجيب ، إنه رفض أن يطلع عليها أحد .

— ما تظنه قد فعل بها ؟

— لا بد يا دكتور أن يكون قد ألقاها في الماء ؟

— ولم كل هذا ؟

فتمتم نيقولا وقال :

— أنا لا أعرف عنها أكثر مما تعرف أنت .

— لقد علمني ، طول بقائي في الشرق كطبيب ، ألا أسأل عما لا يعنيني .

وكان غرض نيقولا من هذا ، أن يبقى الأمر سراً .. وقد تحسنت حالة الهضم ، وبعد أن صحا من نومه لم يشعر بأي ألم ، بل شعر بنشاط كبير . ثم قال :

إن في الأمر غموضاً يا دكتور ، ولكني مثلك لا أتدخل فيما لا يعنيني ،

فإنهم يقولون : « تجنب السؤال ، تسلم من سماع أجوبة كاذبة » . هذه سياستي ، وإذا أتيحت لك فرصة كسب شيء من المال فلا تتركها وإلا كنت أحمق .

ثم استمر في التدخين وقال

- أظنك يا دكتور لن تدع الفرصة تفوتك .

نعم ، لكن ليس على حسابك أنت

- نعم ، لقد كنت في مدينة سيدني ، ولم أجد عملاً لمدة تقرب من سنتين ، ليس لأني لم أحاول ، ولكن الحظ جرى هكذا . أنا من أمهر الناس في قيادة السفن ، سواء منها الشراعية أو التجارية فهل تعتقد ان أحداً التفت إلي أبداً ؟!

وقد ساءت حالتي فاضطرت زوجتي إلى العمل لتعيش ، وإن كان ذلك مما ساءني ، ولكني اضطررت إلى الموافقة ، واستطعت أن أجد مأوى وأن أتناول ثلاث أكلات في اليوم . ولكن زوجتي كانت متبرمة بي ، لا سيما إذا حاولت أن أطلب منها بعض النقود للذهاب إلى السينما .. أنت تعلم أن السيدات بخيلات يحرصن جداً على المال ، وكانت دائماً تعيرني بالبطالة ، وإني متسكع أجلس طول الوقت على الشاطيء .. وأنها قد تعبت من كثرة العمل لتوفر لي الرغيف الذي أتناوله ، ولا أكذبك انه كانت تمر بي لحظات من الغضب ، يخيل لي فيها أن أخنقها وأتخلص منها .. لأني أعلم الناس بحالتها ..

ثم قال :

- هل تعرف مدينة سيدني ؟

فقال الدكتور :

- لا لم يسبق لي زيارتها

فقال نيقولا :

ـ لقد كنت ذات يوم جالساً في أحد المشارب على الشاطىء ، حيث كنت أتردد عليه ، وكانت حالة عسر الهضم تضايقني جداً ، وفي حالة نفسية قاسية ، ولم يكن في جيبي أي نقود بالمرة ، أنا الذي قدت من السفن مـــا يزيد على أصابع يديك . ولم أستطع العودة لمنزلي لملاقاة زوجتي التي كانت تعطيني قطعة من اللحم البارد أتعشى بها . مع علمها ان ذلك النـوع من الطعام يؤذيني جداً ، وأنت تعلم أن النساء دائماً محبات السيطرة بخيلات . ومع كل هذا فإن صوتها لم يكن أبداً يرتفع في أي حالة ، ولكنها لا تتركني هادئاً دقيقة واحدة . وإذا مكثت في البيت بعض الوقت فقـدت أعصابي وشتمتها فتقول لي : طبعاً ، هذا من حسن أدبك . لو كنت تزوجت من بحار عادي لكان خيراً لي لأنه يفهم كيف يعاملني كما تعامل السيدات .

ثم استمر نيقولا في ذكر طريقة معــاملة زوجته واحتقارها له ، وما يقاسيه دائماً بسببها .

وأخيراً سكت وجال ببصره في البحر وقال :

ـ وفي هذه المرة غبت عنها في هذه الرحلة ، ولن تستطيع معرفة شيء عن أخباري لأنها كانت دائماً تبحث عني في كل مكان إذا تغيبت عنها إلى أن تصل إلى حيث أكون .. وعلى كل حال فإني لن أعجب إذا رأيتها سابحة الآن في قارب تتبعني .

ثم قال له الدكتور :

ـ ما هذا الدخان الكريه القذر الذي تدخنه يا كابتن ؟ أنا لا أرتاح الى الصنف « البحاري » .

فقال نيقولا :

ـ إن أعصابي متعبة وهذا هو سبب ما أقاسيه من سوء الهضم . إني أذكر اني ذهبت إلى طبيب في سنغافورة بناء على إرشاد أحد معارفي وكتب لي أصنافاً كثيرة من الدواء كما يفعل الأطباء على ما تعلم . ولكني لم أرتح إلى

الدواء .. وقد وضع علامة صليب أمام احد الأدوية ، فسألته لماذا فعل ذلك وما معنى هذه العلامة ؟ فقال أنا أضع هذه العلامة عندما أعتقد أن المرض راجع لأسباب عائلية .. فقلت له حسناً · لقد أصبت كبد الحقيقة ، لقد كان طبيباً ذكياً ولكني لم أستفد من علاجه .

— إن الفيلسوف سقراط كان يشكو مما تشكو منه ، ولكنه لم يصب بسوء الهضم .

— من هو سقراط ؟

— إنه رجل امين .

— ربما كانت حالة زوجته أحسن من حالة زوجتي ..

— حقاً لا .

— يجب أن تقبل الأمور كما هي وإلا فانك لن تجد مكاناً في هذا العالم تستريح اليه .

ثم ضحك الطبيب — لما سمعه من القبطان الذي يقاسي من زوجته ما يقاسي ..

مما يثبت انتصار الروح على المادة ، لأن روح الزوجة كانت أقوى من روح زوجها ..

وكان يود الطبيب أن يرى مثل هذه السيدة .

ثم استمر القبطان في حديثه قائلاً :

— كنت احدث معك عن فريد بليك ، وبينما أنا أجلس في هذا المقهى كما ذكرت لك لأتناول الشراب ، فإذا بي أبصر شخص قادم اعرفه اسمه ريان — يجب الحذر منه لأنه يعمل مع البوليس ..

تراه دائماً في حالة يسر ، يحمل الكثير من النقود .. وأنا أعلم انه لا يريد مني شيئاً فتظاهرت بأني لم أره ، واستمررت في حديثي مع جاري .

ولكن في الوقت نفسه كنت أختلس النظر اليه ، فجال ببصره ثم تقدم

الي .. وقال :

- سعدت مساء يا كابتن .. كيف حال الدنيا معك في هذه الأيام ..

فقلت : كالزفت ..

فقال :

- ألا تزال تبحث عن عمل .

فقلت : نعم .

فقال :

- ماذا تريد أن تأخذ .

ثم تناول كلانا بعض أقداح الجعة ، وكان ريان يتنقل بالحديث معي ، ويسأل عن أخبار عائلتي ولكنه في الوقت نفسه يتفحصني ويكثر من التأمل ولكن يا دكتور لم يكن هناك بطبيعة الحال ما أخشى منه من أمثال ريان - وقلت في نفسي وأنا أشرب الجعة - يبدو ان ريان هذا يريد شيئاً ، وفي نهاية الحديث . قال لي :

- انت رجل من النوع الحذر - لاعب قديم فحسب - إشرب كأسك ودعنا نأخذ مكاناً آخر ، فاني لا أستطيع أن أواصل السماع لك طول اليوم ..

ولما شربت كأسي لاحظت انه يريد أن يطلب كأساً أخرى .. وقال :

- التفت إلي يا صاحبي . إني أرى في هذا المكان أناساً كثيرين بحيث لا يستطيع الانسان سماع صوته .. ولن تستطيع أن تعرف من يصغي إلى كلامك ..

ثم نادى فتى المقهى . وقال .

- تعال هنا يا جورج .

فحضر مسرعاً وقال له :

- أنا وصاحبي هذا نريد مكاناً منفرداً لنتحدث فيه عن الماضي ، فهل

لك أن تفتح لنا غرفتك ؟

فقال الخادم

ـ غرفة المكتب ، لا أمانع . تستطيعان الجلوس فيها بكل سرور إذا رغبتما ؟

فقال ريان :

ـ خذ هذا وبطاقة بكأسين من الجمة احضرهما لنا في غرفة المكتب . وأحضر جورج البيرة .

ثم قام ريان ناحية الباب والنوافذ فأغلقها وقال :

ـ التفت الي يا بيل ، لقد كنت أجري تحريات عنك وقد تبين لي انك بحار ماهر ، اليس كذلك ؟

فقلت :

ـ ليس هناك من هو أمهر مني ، واني وان كنت لا أجد عملا لمدة طويلة فذلك مرده فقط إلى سوء الحظ وليس لعجزي .

فقال ريان

ـ سأصارحك الآن بشيء ، وسأقدم لك بنفسي عملا .

فقلت :

ـ حسناً ، وما هو هذا العمل ؟

فنظر إلي مبتسماً ثم قال :

ـ هل تكتم السر ؟

فقلت :

ـ نعم ..

فقال :

ـ حسناً .. ما رأيك في أن تأخذ قارباً صغيراً من قوارب صيد اللؤلؤ الموجودة في جزيرة ترزداي ويورث داروين .. تجوب به تلك الجزر لبضعة

أشهر ؟

فقلت :

– معقول !

فقال :

– حسناً هذه هي المأمورية

فقلت :

للتجـــارة ؟

فقال :

– لا .. للتريض ..

وقلت في نفسي ، ولكن الانسان يجب ان يكون يقظاً وأن كان الرفض قد يسبب لي متاعب في مثل هذه الحالة ، إذ قد بـدا على وجهي شيء من التأمل العميق ..

ثم قال لي :

– سأخبرك بالأمر ، إني أعرف شاباً له نشاطه الجم ثم أجهـده العمل ، وأنا صديق لوالده ، وأريد ان احمل هذا لادخال السرور عليه ، وإن والده ذو مركز مرموق ونفوذ واسع في كل مكان !

ثم قال :

– إن والده شغوف به ، لأنه إبنـه الوحيد وأنا اقدر منزلة الأولاد ، ولذلك اقلقتني حالته .

فقلت :

– انا أعلم هذا مثلك .

فقال :

– إن الأولاد شيء عظيم ليس غيرهم من يدخل السرور على الانسان ؟

فقلت له :

– هذا صحيح !

ثم قال :

– إن هذا الولد دقيق الاحساس ويشكو بعض الآلام في رئتيه ، وقال طبيبه إن أحسن علاج له هو ان يسافر في رحلة بحرية على مركب شراعي ولم يرغب والده في سفره على سفينة كبيرة ، ولذلك اشترى له هذا الشراع ، اعتقد انك غير مرتبط بشيء ، ويمكنك القيام بهذه الرحلة ، إلى أي مكان ليقضي الولد وقتاً هادئاً بحتماً أطول مـــا يمكن ، ولك ان تختار المناطق التي تلائمك ، وتقضي من الوقت في تلك الجزر حسبما ترى ، وقـد قيل له انه توجد جزر كبيرة ما بين استراليا والصين .. ولمـــا كانت حالة الولد تحتاج إلى الهدوء .. فـان والده طلب أن تبتعـد به عن الجزر المزدحمة .

فتظاهرت بالسذاجة التامة ، وقلت :

– هذا حسن ولأي مدة تبقى ؟

فقال :

– لا أعرف ، ولكن قد تبقى سنة ، وعلى كل حال هـذا يتوقف على حالة الولد الصحية .

فقلت :

– وهو كذلك ، وما أجري على ذلك !

فقال :

– مائتا جنيه عند بدء الرحلة ومثلها عند العودة .

فقلت له :

– إرفعها إلى خمسمائة جنيه وانا رهن إشارتك .

فلم يقل شيئاً – والقى علي نظرة تنم عن الغضب وكشر عن انيـــابه – وهنا وجدت ان الموقف يحتاج إلى اللباقة ، لأنه كان باستطاعته ان يؤذيني

إذا لم الحفظ للأمر .. فتظاهرت بعدم الاكتراث لمسألة النقود وضحكت وقلت له :

ــ حسناً .. إن أمر النقود ليس كل شيء ، إن النقود لا تمنيني كثيراً وإلا لكنت من اكبر الأغنياء في استراليا اليوم ، سآخذ ما تعرضه علي مـا دام هذا يسرك كصديق .

فقال :

ــ حسنا يا بيل .

فقلت :

ــ وأين السفينـة الآن . هـل يمكن لي ان اذهب لألقي نظرة عليهـــا .

فقال :

ــ إن صديقا لي أحضرها اليوم من جزيرة ترذداي لتشتريهـــا ، إن منظرها لا يسر كثيراً ، وهي على بعد اميال قليلة من الشاطىء .

ــ وماذا عن البحارة .

ــ انهم من بوغاز توريس ، حضروا بها ، وكل مـــا هو مطلوب منك ان تركبها وتسافر .

ــ ومتى اسافر ؟

ــ الان !

فقلت في دهشة :

ــ الآن ؟

ــ الان ليس الليلة ؟

فقال :

ــ نعم الليلة ، وسآخذك في سيارة إلى حيث توجد السفينة .

فقلت :

— لم كل هذه السرعة ؟

ونظرت اليه بابتسامة تدل على ان في الأمر شيئاً غير طبيعي .

فقال .

إن والد الشخص من رجال الأعمال الكبار الذين يحبون دائماً ان تسير الأمور بهذه الطريقة وعلى هذه الصورة

فقلت :

— اهو من الساسة ؟

وحاولت الاستنتاج ..

فقال ريان :

- عجيبـــاً !

فقلت :

- ولكني رجل متزوج ، وإذا سافرت على هذه الصورة — فإن زوجتي ستملأ الدنيا استفهامـــاً وإذا لم تستطع معرفة شيء عني فستذهب وتبلغ البوليس ..

فنظر إلي محدقاً ، وقال :

- وأنا اعلم انه لا يجب ان يصل الأمر إلى البوليس .

ثم قلت :

— إن شخصاً مثلي معروف انه من رجال البحر يختفي هكذا سيجعـــل بعض المتطفلين يتساءلون عن السبب لأني لست شخصاً من النكرات ، خصوصاً في هذه الأيام التي تجري فيها انتخابات .

وكان ذكر الانتخابات — عن غير قصد مني — جعله ينزعج فقال :

— سأذهب بنفسي واقابل زوجتك !

ولكني لم أدع هذه الفرصة تفلت مني فيجب ان اقوم بدوري فيها !

— قل لها انه تشاجر مع الضابط الأول في البـــاخرة وقبضوا عليه ،

وسأتصل بها من مدينة الكاب .

فقال لي :

– هذه هي التذكرة !

ثم قلت له :

– وإذا لزم الأمر فارسلها إلى مدينة الكاب واعطها خمسمائة جنيه .

فابتسم وقال :

– انه سيفعل ذلك .. ثم انتهى كلانا من شرب الجعة .. ثم قال :

– إذا كنت مستعداً الآن .. فهيا بنا ، ثم نظر في ساعته .. وقال :

– لنتقابل في ركن ماركت ستريت خلال نصف ساعة . سأمر بك بسيارتي وهناك تركب معي وعليك الآن أن تخرج قبلي من الباب الخلفي البار في آخر هذا الدهليز الذي يؤدي بك إلى الشارع العمومي .

فقلت :

– وهو كذلك

ثم قال لي بينما كنت منصرفاً :

– سأخبرك عن شيء واحـــد .. لا داعي للتلاعب وإلا عرضت نفسك للموت .

قالها في مزاح ولكني أعلم صدق كلامه .. فقلت له :

– لا تخشى شيئاً .. أنا أعامل الناس بمثل ما يعاملونني به .

ثم قلت :

– وهل الغلام في السفينة ؟

فقال :

– لا سيحضر فيما بعد .

ثم خرجت وسرت كما وصف لي .. وكان المكان الذي طلب مني الانتظار به لا يبعد أكثر من مائتي ياردة .. وقلت لنفسي :

– انه انمـــا طلب مني الانتظار هناك نصف ساعة ، لكي يحضر من يراقب المكان ثم قلت في نفسي :

– ماذا يكون الحال لو اني أخبرت البوليس وأرسلت من يراقب السفينة . ولكني قلت انه لا داعي لذلك وفضلت العدول عن ذلك ، لا سيما واني لم أحصل بعد هذا على الدولارات الاربعمائة . فابتسم دكتور سوندرز – وبدا يفهم حقيقة كابتن نيقولا .. انه ذلك الشخص الذي يبدو بين الناس شيئاً لا قيمة له . ويرى انه لا بد ان يخلط حالته بنوع من عدم الاستقامة ليقاوم الأشياء التي تسبب له عسر الهضم . وإذا كان دكتور سوندرز تنقصه صفة الحنان ، فقد وطن نفسه على أن يكون أكثر تحملاً لما يدور حوله . وتخلى عن صفتي الذم والمدح . لأنه يرى أن هذا العالم خليط من القديسين والأشرار . وان كان لا يهتم قليلاً بكل الشيئين ، ثم تحدث القبطان قائلاً :

– انه لم يستطع ألا يهزأ من نفسه عند وقوفه في ذلك المكان السفر في تلك الرحلة قبل ان يستبدل ملابسه أو يحلق ذقنه وينظف أسنانه ، لأن المظهر النظيف يوحي بالاحترام فقال الدكتور :

– هذا صحيح .

ثم قال نيقول :

– وأخيراً بعد نصف ساعة وصلت السيارة .. وكانت الطرق رديئة طافية على وجه الماء .. مسرعة في سيرها ، ثم قلت لريان :

– وماذا عن المؤونة ؟

فقال :

. لقد رتبنا كل شيء لمدة ثلاثة أشهر .

وكان لا بد ان نصل الشاطىء في منتصف الليل – وها قد وصلنا وتوقفت السيارة وطلب مني النزول ثم نزل في أثري وأطفأ نور سيارته وأضاء بطارية وطلب مني أن أتبعه في طريق غير ممهد فكنت أتعثر في مشيي ، وكنت

أخشى أن تتكسر رجلي – ولما وصلت إلى الشاطيء شعرت بعدم ارتياح . ثم أطلق ريان صفارته فجاوبه شخص في الماء بصوت غير مرتفع فأضاء ريان بطاريتين ليرى أين نحن – وبعد برهة وصل زنجيان على ظهر القارب الصغير – نزلنا فيه أنا وريان ثم ابتعدنا عن الشاطيء . ولو كان في جيبي عشرون فلساً ما اخترت هذه الرحلة وبعد أن مكثنا في القارات عشر دقائق وصلنا إلى السفينة ، وعند ذلك قال ريان :

– ما رأيك فيها ؟

فقلت :

– لا أرى شيئاً .

فقال :

– سأحدثك أكثر عند الصباح .

ثم قلت :

– وأين ذلك الفتى المريض ؟

فقال ريان :

– سيأتي حالاً . انزل أنت إلى الكابين وأوقد المصباح إلى أن أرتب أنا بعض الأشياء .

ثم تباطأت في النزول لأرى ما حولي . وفهمت انه تعمد التأخير وجعل يعطي بعض اشارات ببطاريته ، فدهشت لذلك . ورأيت شخصاً واقفاً على الشاطيء . ثم سألت عن وقت بدء الرحلة .

فقال ·

– قريباً بعد وصول الفتى .

وبعد قليل وصل قارب به بليك ونزل إلى سفينتنا ، وجعلنا نتبادل النظرات . ثم قلت له

– انك ستفيد من البحر – فليس من شيء يغذي الجسم مثل الرحلات

ثم نظر إلي وضحك . ثم أخرج ريان النقود من جيبه وقدمها لي ، وكانت عبارة عن مائتي جنيه استرليني ذهباً ، ولم أكن رأيت الذهب منذ مدة طويلة وقلت ان الشخص الذي سعى لابعاد هذا الفتى لا بد أن يكون عظيماً .

وقلت لريان :

- ضعها في خزانتي - فإني لا استطيع أن أترك هذا المبلغ في أي مكان .

فقال :

- نعم . خذ الحزام ومع السلامة وحظ سعيد - وقبل أن يدع لي مجالاً الكلام ركب قارباً وانصرف . ولم يترك لي فرصة لأعرف من كان بالقارب .

ثم قال الطبيب :

- وماذا حصل بعد ذلك .

فقال القبطان :

- ووضعت النقود في الحزام وتمنطقت به .

فقال الطبيب :

- أظنه أصبح ثقيلاً .

ولما وصلنا ميروك . اشترينا صندوقين . واخفيت صندوقي حتى لا يعلم أحد مكانه . ثم سرنا بالسفينة قرب الشاطيء . وكان الجو لطيفاً ، وكل شيء على ما يرام والنسيم عليل

ثم قلت الفتى :

- ما رأيك في أن نتسلى باللعب « لعبة الكرباج » لنقتل الوقت على صورة ما ؟ وكنت أعلم أن معه بعض النقود . فلماذا لا احاول ان احصل على بعضها وكنت طول حياتي العب الكرباج . واعتقدت إني اجدتها - ولكن تصور إني لم أربح ابداً منذ تركنا سيدني ؟ لقد خسرت حوالي سبعين جنيهاً ،

ولكن ليس بسبب مهارته بل بسبب حظه .

فقال الطبيب :

– الظاهر انه كان أبرع منك في اللعب ؟

فقال القبطان :

– أبداً انه الحظ – ولكن لا يستمر إلى ما لا نهاية . وهذا مؤلم ولكني تحملت .

ثم قال الطبيب :

– هل اخبرك الفتى شيئاً عن نفسه ؟ .

فقال القبطان :

– أبداً ولكني استطعت بالاستنتاج ان أعرف شيئاً عنه وعن خفايا الموضوع . ان للسياسة دوراً في الموضوع ، واعتقد ان فريد ارتكب جريمة قتل ، ولكنه في سن لا تسمح بتنفيذ حكم الاعدام فيه .

- ١١ -

الصلاة

جاء القبطان الاسترالي يطلب الدكتور ، لأن حالة البحار قد ساءت وانه يصارع الموت .

فذهب معه الدكتور وتبين ان الشخص المريض في حالة اقرب الى الموت ، ثم قال في نفسه ..

إن الموت أمر في غاية الهوان .. هو أهون من الطعام الذي اكلناه — ثم تذكر الدكتور كيف ان هذا الياباني الذي كان سليل قرون غابرة جاء الى هذا العالم نتيجة تطورات طبيعية غير واضحة منذ الأبد يموت في مثل هذا المكان الموحش .

وكان القبطان نيقولا يحلق ذقنه !

ولما وصل الدكتور .. مد يده اليه ليساعده على الصعود إلى الفنتون ..

وقال نيقولا :

— حسناً ما الأخبار ؟

فقال الدكتور :

— لقد مات .

فقال القبطان :

ـ هذا ما كنت أتوقعه ، ثم ماذا عن طريقة دفنه ؟

فقال الطبيب :

ـ لا اعرف ، ولم اسأل واعتقد انهم سيلقون به في الماء .

فاغتاظ نيقولا لهذا القول ، وهذا ما توقعه الطبيب وقال :

ـ لا يمكن ان يحدث هنا على سفينة بريطانية ، يجب دفنه بالطريقة المتبعة ، : ان يصلى عليه ، ويعمل له كل ما يجب .

فقال نيقولا :

ـ كل شيء قد اعد ، تعالوا يا رجال .

ثم بدأوا في عمل إجراءات المراسم الدينية واستمد القبطان نيقولا لما سيقوله في زهو ورضاء ، ومشى الجميع وفي افواه بعضهم الغليون « البيبة » وبعضهم كان يدخن السجاير الى ان وصلوا إلى حيث وضع الجثمان على ظهر السفينة ، وكان يبدو ضئيلاً جداً كأن ما في اللفافة التي لفت بها الجثة ليس انساناً .

ثم قال القبطان :

ـ هل الجميع حاضرون ، ارجو الامتناع عن التدخين احتراما للميت !

فنزعوا من افواههم ما بقي من السجاير .

والتفوا في حلقة وقال :

ـ تقدم إلى جواري يا كابتن ، انما افعل ذلك من اجل خاطرك ، انا لا احب ان تفهم اني اخذت مكانك ، والآن هل انتم جميعا مستعدون ؟

وكان كل ما يتذكره كابتن نيقولا عن الطقوس الدينية سطحيا ، فجعل يكرر بعض الأقوال بخشوع وختمها بكلمة آمين !

ثم نظر الى الرجال الزنوج وطلب منهم ان يلقوا نشيداً كنسيا ، لأنهم جميعا كانوا مع رجال الارساليات الدينية وقال : تقدموا ايها الجنود كما يحصل في الحرب ، ثم بدأ هو يتغنى ببعض الأناشيد بصوت قوي ذي نغم ، ثم انضم

اليه البحارة في الغناء ، وكان غناؤهم كأنه صوت جماعة في الغابة لا يشبه صوت التراتيل المسيحية .

وكان آه كاي يبدو نظيفا في ملابسه البيضاء المنمقة وقد وقف بمبدأ عن الزنوج في حالة غير المكترث .. وبدا عليه الاستهزاء .. ثم رتلوا منشدين ، ولما حاولوا البدء في الثالث رفع القبطان يده وقال :

— كفى ، ليست هذه حفلة ، ولن نريد البقاء هنا طول الليل .

ثم القى الدكتور نظرة على جثة الياباني .

سأقوم انا بترتيل النشيد ، ثم بعد ذلك يتقدم منكم اثنان لرفع الجثة بحذر واحتياط لالقائها في الماء ، وليتتخب القبطان هذين الشخصين .

ثم قال :

— بسم الله القدير الرحيم ، لتذهب روح اخينا العزيز الذي فارقنا الى السماء ونلقيها في الماء .

ثم امر الشخصين بالقاء الجثة فألقياها واحدث القاؤهـا صوتا ، ثم تقدم القبطان إلى حيث القيت وعلى وجهه علائم الارتياح ، ثم قال بعض الكلمات الدينية التي رددها البحارة معه ، بصوت عال ، ما عدا آه كاي .

ثم نظر الكابتن الى البحارة وقال لهم :

— الآن يا رجال يسرني ان اتيحت لي الفرصة لإداء هذه الطقوس على اكمل وجه ، نحن اذا كنا احياء فسنموت ، ارجوا ان تعلموا انه عندما يأتي دوركم لمفارقة هذه الدنيا ، فستجدون مثل هذه العناية ما دمتم على سفينة بريطانية او تحت علم بريطاني .

وسنؤدي لكم المراسم الدينية وتدفنون كما يدفن ابناء الله المؤمنين ، والآن اطلب منكم ان تهبوا لتحية قائدكم ثلاث مرات من قلبكم

وان كنا في مناسبة محزنة تدمع فيها اعيننا ، والآن — اتجهوا الى الرب

المقدس ، الله القدوس ، يا رجال

ثم انحنى جانبيا كأنه يخطب على منبر ، ورفع يده مسلما على الكابتن اتكنسون الذي سلم بحرارة ثم التفت الى بحارته وامرهم بالعودة الى سفينتهم الفانتون ! فانصرف الرجال ، ثم احضر اتكنسون زجاجة ويسكي وبعض الكؤوس .

ثم رفع كأسه الى كأس كابتن نيقولا وهو يقول :

– اثناء الصلاة لم اكن انظر اليه كياباني ، بل كواحد منا ؟

- ١٢ -

بدء الرحلة

كانت الرياح الموسمية – تهب بشدة – عندما اقلعت السفينة من مرساها الى البحر !

ولم يكن الدكتور على دراية بشؤون البحار ، فخيل اليه ان حالة البحر تنذر بالخطر ..

وانزل القبطان زورق النجاة ليكون مستعداً لكل طارىء .. واشتدت الأمواج التي يعلوها الزبد واقتربت المياه في اندفاعها الى حافة الزورق – وبين حين وحين كانت الامواج تدق السفينة دقا شديداً – وتعلو الامواج ظهرها .

وظلوا هكذا يجتازون الجزر المتناثرة واحدة بعد اخرى وفكر الدكتور في ركن مكانه بينما كان اثنان من البحارة قد شغلا باعداد صفائرهم للصيد غير آبهين بالبحر المائج ..

وكانت السفينة في سرعة اندفاعها ترتطم احياناً ببعض الصخور ، ثم تنطلق في الماء .

وأمر القبطان احد البحارة بالوقوف عند مقدمتها لمراقبة سيرها ، ثم رأى ان يبتعد بها عن طريقها الحالي إلى البحر العميق .

وهكذا ظلت السفينة تروح وتجيء .. بعنف وسط الأمواج الهائلة التي

كانت تعلو كثيراً على ظهرها ، وتبلل ملابس كل من كان فوقها . ثم التفت القبطان الى الطبيب وقال :

— لماذا لا تنزل إلى الكابين ؟

فقال :

— أنا افضل البقاء فوق سطحها .

فقال له الدكتور :

— وهل تخشى اي خطر يا كابتن ؟ وهل يحتمل ان تزداد الحالة سوءاً ؟

وقال القبطان :

— يحتمل .

ثم هجمت على السفينة موجة كبيرة ، ولكن القبطان تمكن من تفاديها .

ثم أقبل فريد بليك وقال :

— هذا عظيم اليس كذلك ؟

محاولاً رفع روح الطبيب المعنوية الذي كان صامتاً لا يتكلم . ثم مرت موجة جبارة أخرى غمرت سطح السفينة .

فقال القبطان :

— لا تيأس — فقد كنت بحاجة إلى حمام .

وتبادل الضحكات مع فريد بليك ، بينما كان الطبيب في شدة الرعب . وتمنى انه لو بقي في الجزيرة ينتظر سفينة كبيرة لا يتعرض فيها لما هو فيه — الآن — من بأساء حتى لو أدى ذلك إلى تأخير سفره مرة اخرى . وقد استحالت عليه القراءة لأنه لم يستطع رؤية الكتاب بسبب بلل نظارته بالمياه كما تبلل الكتاب نفسه بدرجة كبيرة .

فصاح به القبطان :

— ألست مرتاحاً للرحلة يا دكتور ؟

وكان القارب يهبط ويعلو على ظهر المـــاء كأنه قطعة من الطين . وكان القبطان في هذه الشدة يبدو في منتهى الفرح مظهراً قدرته على القيادة وتغلبه على الأمواج .

ان القبطان نيقولا على ما به من انحطاط خلقي ، ربان ماهر عـــالم بشئون البحار علماً كافياً شجاعاً في اوقات الخطر يثق بنفسه إلى ابعد الحدود ، وان كان لا يعول على معاني الكرامة . إلا شكلاً ثم حضر الطـــاهي يحمل الطعام ويقول :

— انه لم يستطع ايقاد الموقد لأن تيار البحر اتلفه .

وكان العشاء من الخبز والبطاطس البارد .

ثم ارسل القبطـــان في طلب اوتان ليتولى القيادة مكانه ريثما يتناول طعـــامه .

ثم التفت الرجال الثلاثة حول المائدة واخذ اوتان مكانه من القيادة .

ثم قال القبطان :

— إني اشعر بالجوع . وانت يا فريد كيف حالك ؟

ورد فريد بملابسه المبللة قائلاً :

— على ما يرام .

وكانت حالته المعنوية حسنة جداً .

ثم نظر الطبيب إلى القبطان وقال له :

— إذا لم تتعب بعد تناول هـــذا الطعام فسيكون بامكانك ان تهضم ثوراً كاملاً .

— شكراً لله — ان حالة سوء الهضم تفارقني إذا اجتزت بحراً هائجاً كهذا ان مفعوله كالدواء .

— وإلى متى ستستمر هذه العاصفة ؟

فضحك في خبث وقال :

- إني لا اعرف .

- ربما عند الغروب !

- الا يمكن ان تلجأ إلى اي جزيرة ؟

فقال القبطان :

- ان البحر افضل .

ثم نظر إلى بليك وطلب منه ان يلعبا الكريباج ، ولكن الطبيب رجاه عدم اللعب في تلك الليلة .

فرد عليه قائلاً :

- لا تخف ان باستطاعة هؤلاء البحارة الزنوج قيادة السفينة بأمان .

ثم نزلا إلى القبطان وبقي الطبيب وحده يراقب المياه في تلك الأمسية التي لا يبدو ان لها نهاية وجعل يفكر في خادمه آه كاي ، ثم نظر حوله فلم يجد الا احد البحارة .

ولما سأل عن الخادم علم انه نائم . ثم نزل إلى القبطان فوجده مستغرقاً في النوم .

ثم صعد ثانية إلى سطح السفينة ، ولكن موجة هائلة خلعت قلبه هلعاً - قد طافت به فصاح البحار الزنجي :

- انه يحسن به ان يعود ثانيا إلى اسفل السفينة .

ولكن الطبيب ظل واقفا ممسكا بأحد الحبال . ثم ظهر له انه هو الشخص الوحيد من بين من في السفينة الذي يخاف وكان الجميع يشعرون بأمان كأنهم على اليابسة .

حتى خادمه آه كاي الذي لا يعلم شيئا عن البحار .

اما هو فلم يستطع ضبط اعصابه كلما مرت موجة كبيرة .

ثم قال لنفسه ولم اكون انا الوحيد الخائف بينما الجميع في هدوء .

وبعد برهة نزل إلى القبطان فوجد فريد بليك ونيقولا ما يزالان يلعبان .

ثم سأله القبطان :

ـ ما حالة الجو يا دكتور . اهو رديء ؟

فقال فريد

ـ انه رديء في اغلب الأحيان . ولكني افضل السفر على مثل هـذا الشراع الصغير من السفر على عابرات المحيط .

نظر الطبيب إلى فريد وقال

ـ الصب . انه دورك .

وكانا جالسين على سرير القبطان .

ثم استبدل الطبيب ملابسه المبللة واستلقى على سريره ، ولم يتمكن من القراءة لأن المصباح كان يهتز مع اهتزاز السفينة .

وظل منصتاً إلى الكلمات المملة التي يتبادلها اللاعبان ، بينما كانت الرياح تهب بشدة ..

وكان بليك يواصل الكسب ..

بينما كان الكابتن يخسر دائماً ! أما الدكتور فقد تقلصت أطرافه من شدة الاضطراب .

وهكذا مضت عليه الساعات وهو في ذعر شديد ، وعند الغروب صعد القبطان إلى ظهر السفينة .

ثم عاد يقول :

ـ إن الرياح ما زالت تهب ولكن في غير شدة ..

وشعر انه في حاجة إلى فترة النوم ، بعدما قاساه .. في الليلة الماضية ..

ثم قال له بليك :

ـ لماذا لا تغير اتجاه القارب :

وقال الكابتن :

– إن ذلك غير ممكن ، وان الحالة لا تستدعي الخوف .

ثم نام عشر دقائق وعلا شخيره .. وخرج فريد إلى الهواء الطلق فوق ظهر السفينة ..

وفي الساعة السابعة أحضر الطاهي الطعام ، وفي هذه المرة تمكن من إيقاد الموقد !

واستيقظ القبطان وتناولوا طبقاً ساخناً من الخضار المسلوق والشاي واللحم ..

ثم صعدوا ثلاثتهم إلى ظهر السفينة ..

واخذ القبطان مكانه من القيادة ، ولمعت النجوم زاهية ، ولكن البحر كان ما زال شديد الاضطراب ، وأقبلت موجة كبيرة .. ولكن مهارة الكابتن تغلبت عليها .

ثم خرجت السفينة عن طريقها المرسوم وسمع صوت تصادم ومرت موجة كبيرة فوق السفينة احتمتهم عما حولهم ..

وتأرجحت السفينة بشدة جملة مرات والقت بالمياه بعيداً عنها كالكلب الذي يغطس في الماء ..

ثم يخرج إلى اليابسة ينفض جسمه منه ..

ثم قال القبطان مازحاً :

– ألا توجد جزيرة هنا ؟

– نعم .. إذا اتجهنا الى الشرق ، فسنصل إلى إحــــدى الجزر بعد ساعتين ..

وهنا تساءل فريد عما إذا كان في الطريق من صخور ؟

فقال القبطان :

– اعتقد انه لا توجد أية صخور .. وسيطلع القمر بعد قليل .

ثم تشجـــع الطبيب ونادى آه كاي .. ليحضر له التبغ وجهز له التليفون ليدخنه .

ودخن مرتاحاً وهدأت أعصابه التي كانت تعلو وتهبط مع القارب .. وتحت تأثير التدخين امتد خيال الطبيب إلى الله وإلى الأبــدية ، ثم ضحك لحال هذه الدنيا التي يرى انه لا معنى لهــا .. وتواردت عليــه خواطر من الشعر ..

ثم تخيل انه مات وان نيقولا يحمله إلى مكان جميل ..

ثم غلبه النوم ..

هدوء العاصفة

- ١٣ -

استيقظ الطبيب على نسمات الفجر ـ ولما فتح عينيه رأى القبطان وفريد ما زالا نائمين ، فإنهما لما ناما تركا النافذة مفتوحة . لطرد رائحة التبغ . التي كانت تملأ المكان .

ثم لاحظ أن القارب لم يعد يتأرجح ، ولكنه شعر بثقل في جسمه ، لأنه أفرط هــــذه المرة في التدخين ، ورأى أن يخرج إلى الهواء الطلق ، وعند خروجه لمست يده كتف خادمه كاي ، فاستيقظ وابتسم كعادته .

ثم تثاءب وطلب منه الطبيب اعداد الشاي ، فأعده ولم تكن الشمس قد طلعت بعد .

وما زالت بعض الكواكب في مكانها لم تغرب

ثم حيا الرجل الذي كان على عجلة القيادة الطبيب ، أمــا البحر فكان في منتهى الهدوء ، وكان النسيم عليلاً والسفينة تجتاز طريقهـــا بين جزيرتين متقاربتين .

بينما كان الرجل القابض على عجلة القيادة نصف نائم .

وقد لاح الفجر بين هذه الجزر غير المرتفعة كأنه يفضي سراً من أسراره كالعذراء التي تفضي ببعض أسرارها .

وكان المسير بين هذه الجزر المقفرة الموحشة يجعلك تمسك أنفاسك وكأنك

في بدء الخليقة حيث الوحشة التامة ، والهدوء الممل ، فأنت في هذا المكان تحس بأنك على الفطرة ، وقد زالت عنك جميع الهموم والمتاعب . عندئذ تأمل الطبيب ما في ذلك الكون من الأسرار الغريبة .

وأحضر كاي خادمه كوباً من الشاي ذي الرائحة الياسمينية العطرة ، وجعل الدكتور يفيق رويداً رويداً من تفكيره الذي كان سابحاً فيه . وكل مناه أن يتجول في تلك الجزر إلى ما شاء الله .

وفي أثناء جلسته الهادئة الممتعة سمع وقع أقدام ، فإذا القادم فريد بليك ، في منامته وشعره المرسل الذي أظهره فتى صغيراً .

وكان بادي النشاط مما يتلاءم مع سن الشباب مشرق الوجه باسمه ، وليس كوجه الدكتور الذي غلبت عليه التجاعيد .

وقال الدكتور :

– لقد استيقظت مبكراً .

هل لك في قدح من الشاي ؟

وكان فريد طويل القامة عريض المنكبين ، تأثرت يداه ورقبته من لفح الشمس ، وراق منظره هذا في عين الدكتور .

ثم جلس بجواره على المقعد وقال الدكتور :

– هل تعلم اننا فقدنا زوارقنا الليلة الماضية ، وكذلك الشراع الاحتياطي بعد أن تمزق أرباً من شدة الريح ؟

ولم يكن الكابتن مرتاحاً لحجزنا بالجزيرة ففضل استمرار السفر .

– اننا لن نكرر مثل هذا العمل . انك قضيت أكثر الوقت فوق سطح السفينة – خائفاً تترقب المصير المجهول .

– نعم .. ولكن في غير بأس من السلامة ، على أي حال .

فقال فريد :

– ولكنك تخاف دائماً ؟

فقال الدكتور .

ـ ولم الخوف إذا جاء الأجل فلا مفر من الموت . إنها مسألة سن ، فالكبار دائما أكثر تخوفا من الصغار .

فقال الدكتور :

ـ إنك صغير وأمامك فسحة من العمر الطويل ، لا يحسن بك أن تعرضه للخطر مثل ما نفعل الآن ؟

فقال فريد :

ـ ولكن كيف تستطيع التفكير وأنت في هذا الفزع ؟

ـ لأن عقلي سليم .

فقال فريد :

ـ أنت يا دكتور رجل أخلاق أليس كذلك ؟

ـ أنا لا أعرف ما تعني ؟

ـ إني آسف لموقفي الأول منك . عندما عرضت السفر معنا ـ لأني كنت إذ ذاك ـ مريضاً وأعصابي متعبة .

فقال الدكتور :

ـ حسن هذا .

فقال فريد :

ـ أنا لا أريدك تعتقد إني أتصف بالقسوة

ثم استمرت السفينة في سيرها بين الجزيرتين ـ وكان البحر أزرق هادىء والجزر مغطاة كلها بالخضرة

ثم قال الدكتور :

لقد تناولت نصيبي من التدخين .

فقال الكابتن :

ـ نعم لاحظت ذلك ـ لأن الرائحة كادت تخنقنا . في الكابين وإني

لأعجب كيف ان شخصاً مثلك يسلم زمام نفسه إلى شيطان هكذا .

فضحك الدكتور وقال :

- يجب أن يوطن الانسان نفسه على تحمل رذائل الآخرين .

وهنا قال فريد :

- ليس من رأيي أن أتوجه باللوم إلى أي انسان .

ثم قال الدكتور :

- وماذا قال عني نيقولا أكثر من ذلك .

ثم سكت عن الكلام عندما رأى كاي قادماً ليأخذ الأقداح الفارغة .

ثم قال فريد :

- لا شأن لي بهذا على كل حال انه قال ان اسمك غير مدرج في الجداول . لسبب ما . !

فقال الدكتور :

- تريد أن تقول ان اسمي رفع من الجدول ؟

وقال فريد

- وهو يعتقد انك كنت مسجوناً . والواقع يا دكتور ان الانسان لا يسعه ان يتصور كيف ان شخصاً مثلك ذا شهرة واسعة يلجأ للاقامة في بلد صيني صغير .

فقال الدكتور

- وكيف عرفت إني شخص ذو شهرة واسعة ؟

فقال فريد

- إني أراك شخصاً متعلماً . إني درست لأكون محاسباً وساءت صحتي يوما ما . وحياتي التي تراها لا تسرني .

فابتسم الدكتور لأن صحة فريد كانت تبدو على أحسن ما يمكن أن تكون . وقوة بنيته تكذب الادعاء بأنه يشكو من مرض السل .

ثم قال فريد

– هل لي أن أقول لك شيئا ؟

– ان كنت متردداً فلا داعي !

فقال فريد

– يا دكتور ، انه ليس عن نفسي ، فإنني لا أحب أن أتحدث عن نفسي كثيراً – أعتقد انه لا عجب في أن يكون الدكتور رجل أسرار – انه يرتفع في أعين مرضاه بسبب ذلك – كنت أريد أن أخبرك بشيء تعلمته من التجارب – انه إذا وقع لك حادث يغير خط السير الذي كنت قد رسمته لحياتك – بسبب خطأ جسيم – أو جرم – أو كارثة فلا داعي لأن تيأس من الحياة قد يكون هذا ضربة من ضربات سوء الحظ ، وربما إذا نظرت إلى الوراء فقد تعلم انه ليس في الامكان أبدع مما كان . وقد يكون هـــذا الذي وقع في مصلحتك .

ثم أطرق فريد إلى الأرض . فقال له الدكتور

– لم هذا الكلام ؟

فقال فريد

– ظننت ان هذه الأخبار مفيدة ؟

ثم تنهد الفتى قليلا . . وقال :

– أنت لا تعرف الناس ، فقد كنت أظنك إما رجلا أبيض أو اصفر واني اعتقد انك لن تتصور ما قد يفعله المرء إذا وقع في أمر مشكل . . اني في كل ما رأيته لم اقابل شخصـــا اسوأ من نيقولا . فانه يفضل السلوك الرديء على الاستقامة . . لن يستطيع احد أن يثق به أبداً . . إننا معاً لمدة غير قليلة و كنت اعتقد اني عرفت عنه كل شيء ، انه لا مانع لديه من ان يقتل اخاه إذا دعا الحال ، لا يتمتع بالخلق الكريم ، كنت اود انك لو رأيته الليلة الماضية ، انه كان في مثل هدوء شجيرات الخيار

وقد قال لي مرة في مرارة قاسية :

– هل قمت بصلواتك يا فريد ، إننا إذا لم نتمكن من الخروج من بين هذه الجزر الليلة فسنكون في الصباح طعمة للأسماك .

وبدت على وجه القبيح علامات الغيظ ، ولكنه ضبط اعصابه .

– إني سافرت كثيراً ، ولكن لم أر شخصاً في مثل مهارته في القيادة اني شديد الاعجاب به ، ان نجاحنا في سفرنا ووجودنا في هذا المكان يرجع إلى مهارته .. ان أعصابه ثابتة جداً .

فابتسم الطبيب لهذا التناقض في أخلاق الانسان ، وقد كان يلاحظ على نيقولا انه كان شديد الغرور معجباً بنفسه ، مع ان فريد غلبه في اللعب طول الوقت ، وكان يقول ان الشخص الذي يجيد اللعب هو الذي يكسب دائماً في النهاية .

- ١٤ -

لقاء أريك

كان مقرراً أن ينزل دكتور سوندرز من السفينة عند وصولها كاندرا ماريا في بحر كندا ، حيث تصل بواخر شركة باكت الهولندية الملكية لأنه لم يرغب البقاء أكثر كيلا يذهب إلى مكان آخر لا يريده .. ولكن الهواء اضطرهم إلى سلوك طريق آخر ، ولم يهدأ إلا بعد ٢٤ ساعة . ثم بصروا ببركان ماريا بعد ستة أيام ليجدوا بعده مدينة كاندرا وكانت الساعة التاسعة ، ولم يكونوا قد وصلوا إلى الميناء . والأرصاد الجوية غير مرضية ، والبركان في جبل مرتفع ، مكسو بالأشجار حتى قمته ، يخرج منه الدخان في شكل مخروطي ..

وكان الممر المائي بين طرفي الجزيرة ضيقاً ، ومياه المد تجتازه بسرعة هائلة .. ولكن القبطان نيقولا كان يعرف المكان جيداً ، فتسلم قيادة الفنتون .. وقد ظهرت في الأفق ، وعلى شاطىء الجزيرة كان الصيادون يباشرون أعمالهم ، والميناء غير مزدحمة ، وبعض القوارب الصغيرة ، والمراكب القليلة متناثرة هنا وهناك ، والعلم الهولندي يرتفع على سارية مائلة فوق التل .

فقال الدكتور :

لا أعتقد إني سأجد فندقاً

ثم توقف هو وفريد بليك ، بجانب القبطان نيقولا ، عند مقدم السفينة

لقد كانت هذه المدينة (ماريا) في يوم من الأيام ، من أهم المدن التي تتاجر في التوابل ، ولا بد ان يكون فيها ، فندقاً ، وبها ملهى يتمتع بالنظافة وآخر أقل نظافة ثم رست السفينة إلى جانب الميناء وطوت قلاعها . ثم قال نيقولا :

— ها قد وصلنا يا دكتور ، فهل أعددت متاعك ؟

فقال الدكتور :

— وأنت يا فريد ماذا تريد أن تفعل ؟

فقال :

— أنا أيضاً تعبت من السفر على هذا الشراع ولنبحث عن غيره

ثم نزل إلى الكابين حيث حلق ذقنه واستبدل ملابسه ثم ذهبوا إلى الملهى الذي كان خالياً . وساروا في شارع بالميناء ، يبدو انه أكبر شوارع المدينة ، يشمله الهدوء وخلا من المارة . وقد بدا عليهم الارتياح لنزولهم إلى اليابسة ، بعد رحلة طويلة شاقة . وكانت الشوارع تموج بالخفافيش ، والبضائع المعروضة متماثلة ، عبارة عن ملابس قطنية ولباس الساري وأطعمة معلبة مبعثرة في الحوانيت بشكل غير منتظم ولم يشاهد موظفون في بعض الحوانيت ، للقيام بعمليات البيع ، قل ما يتوقعون حضور مشترين، وأكثر الأهالي هناك من أهل الملايو والصين وتفوح في جو البلدة روائح التوابل

ثم استوقف الدكتور أحد الصينيين وسأله عن مكان الفندق ، ولما وصلوا لم يجدوا به أحداً ، فجلسوا على أحد الموائد وصفقوا ، فحضرت سيدة صينية تلبس الساري نظرت اليهم ثم انصرفت وعادت ومعها آخر ، وتحدث اليهما الدكتور ولكنه لم يفهم حديثها . فكلم الدكتور الرجل باللغة الصينية فرد عليه بالهولندية ، فابتسم له الدكتور وانصرفا

فقال القبطان :

— يظهر انه ذهب لاحضار شخص ثالث .. إنه لأمر غريب أن ألا يتكلم هؤلاء الناس اللغة الانجليزية ، مع انه يقال ان هذه بلدة متمدنة .

ثم عاد الرجل ومعه شخص أوروبي ، نظر اليهم بدهشة ثم حياهم برفع قبعته وقال :

— صباح الخير ، هل أستطيع تقديم شيء ؟

وكان يتكلم بالانجليزية الصحيحة ، ولكن بلكنة أجنبية . في العشرين من عمره ، فارع الطول ، عريض مـــا بين المنكبين .. نظيف الثياب ، قوي البنية .

فقال له الدكتور :

— لقد وصلنا الآن على سفينة شراعية ، هل يمكن ان أجد هنا غرفة إلى ان تصل إحدى السفن الملاحية ؟

فقال :

— بكل تأكيد ، فإن الفندق ليس مزدحماً إلى هذا الحد .

ثم التفت إلى الصيني وأعطاه تعلياته ثم تكلم بالانجليزية فقال :

— إن ثمن الوجبة من الطعام ثمانية جولدن، وان المدير غائب في باتافيا ويقوم اريك باعماله وسيعمل على راحتكم .

فقال نيقولا :

— نريد بعض الجعة .

ثم نظر الدكتور إلى موظف الفندق وقال له :

— ألا تحب أن تشرب معنا ؟

فرد الرجل شاكراً ، ثم جلس ووضع قبعته بجوارد وكان عريض الجبهـة أفطس الأنف أسود العينين ضيقهما ، ناعم الملمس شـــاحب اللون أسود الشعر

قصيره ، وابتسم ابتسامة ذات كبرياء وقال :

— هذا مكان لطيف انه أحسن مكان رومانطيقي في الشرق. لقد حاولوا نقلي لكني رفضت ورجوت البقاء هنا .

ثم سأله الكابتن :

— هل أنت هولندي ؟

فأجاب .

— أنا دانمركي واسمي أريك كراينشن . وأمثل الجالية الدانمركية هنا ، وأنا في هذه الجزيرة من أربع سنوات .

ثم حضرت الجعة وشربوها .

ورفع أريك كأسه محيياً ثم قال :

— في صحتكم يا سادة .

ثم شعر الدكتور بميل اليه لا يعرف سببه ، إنه لا يرجع إلى أدبه الشرقي فحسب ، بل إلى شيء آخر في شخصيته ، التي جعلته موضع إعجاب الدكتور .

ثم قال القبطان :

— يبدو أن العمل هنا قليل ؟

فأجاب :

— إن حالة البلدة سيئة ، نحن نعيش الآن على ذكرى الماضي ، الذي خلع على هذه الجزيرة شخصيتها . كان العمل آنذاك موفوراً ، إلى حد أن السفن كانت تزحم الميناء ، بحيث ينتظر بعضها في الخارج حتى تجد مكاناً لتحل الأخرى محلها ، وأتمنى ان تقضي هنا وقتاً طويلاً لأتمكن من ان أريك معالم البلدة ، إنها مكان جميل جداً ، لا تتوقع أن ترى مثله في هذا الشرق النائي .

فقال الطبيب :

— من أين لك بهذه المعلومات ؟

فقال الرجل :

— من القراءة .

فقال الطبيب :

— وما مناسبة قراءتك . هذه ؟

فقال :

— أنا مغرم بالأدب الانجليزي ، وأقرأ كثيراً لشاكسبير .

ثم اختلس نظرة إلى فريد بليك ، نظرة ناعمة هادئة في ابتسامة من فمه الواسع وبدأ ينشد شعراً

ولقد دهش الجميع لما القى عليهم بعض الأشعار ، ونظروا اليه في عجب لكنه لم يجد في الأمر ما يدعو للعجب ..

ثم استمر يقول :

— إن التجار الهولنديين القدماء ، كانوا هنا فيما مضى ، يتمتعون بثراء كبير ، من تجارة التوابل ، وكانوا لا يعرفون ماذا يصنعون بأموالهم . ولم يكن هناك من البضاعة في الخارج ، ما يستطيعون إحضارها هنا ، وكانوا ينقلون الرخام ليستعمله هؤلاء التجـــار في بناء بيوتهم . وإذا كان لديك متسع من الوقت فسأريك منزلي الذي كان يسكنه أحد حكام الجزيرة ، ومن الغريب أنهم في وقت الشتاء لم يكونوا يحضرون على سفنهم إلا الثلج ، اليس في هذا ما يضحك ؟

لقد كان هذا أعظم متعهم . كانوا يحضرون الثلج من مسافات بعيدة من هولندا ويستغرق ذلك ستة أشهر .

وكان لكل منهم عربته ، وعندما يأتي المساء يركبون عرباتهم ويسيرون بها في الميادين .

انها كانت كأساطير الف ليلة وليلة العربية .

ولكن ، هل رأيت القلعة البرتغالية عند دخولك المدينة ؟ سآخذك إلى هناك بعد الظهر ، واذا كنت تريد أي شيء .. فأرجـو ان تخبرني كي أقوم بعمله .

ثم ألقى أريك ، في أدب ، نظرة على الكابتن وفريد وقال :

- هنا ما أحبـه في الشرق ، ان أهله جميعاً ظرفاء ، ليس هنـا ما يتعب . لا يمكنك ان تتصور العطف الذي أجده من هؤلاء الأشخاص الغرباء ..

ثم نهض الأربعة ، وقال أريك لمدير الفندق :

- ان الطبيب سيعود فوراً مع أمتعته وخادمه .

ثم سلم أريك عليهم وقال :

- أنا مسرور للقائكم . اننا هنا قلما نصادف غرباء ، وانه ليسرني ان أرى السادة الانجليز .

وعند انصراف الجميع حياهم بانحناءة

ثم قال نيقولا :

- ان هذا الشخص ذكي فإنه عرف اننا سادة .

وبعد ساعتين استقر الدكتور في الفندق وجلس هو وزميلاه في الشرفـة يشربون قدحاً من الشانانيس قبل تناول الطعام .

ثم قال نيقولا :

- ان الشرق لم يعد كما كان .. فعنـــدما كنت أحضر الى هذه الأمكنة أيام شبابي .. كان المشروب موضوعاً دائماً على المائدة .. يتناول الانسان منه ما يود دون أن يدفع شيئاً . فإذا فرغت زجاجة أحضر لك الخادم أخرى .

فقال أحدهم :

- ربما كان ثمنه قد ارتفع .

فقال نيقولا :

ـ لا أعتقد ، فإني لم ألاحظ أبدا ان أحدا يحاول الاستفادة من ثمنه . ولكن الطبيعة البشرية تجري هكذا ، عامل غيرك معاملة طيبة تجده يتجاوب معك ، أنا دائما أسلم بهذا الرأي .

ثم حضر أريك وحيام أثناء مروره بهم .

فناداه فريد قائلا :

ـ ألا تشرب معنا ؟

فقال أريك :

ـ بكل سرور ساعود بعد أن أغتسل .

ثم قال القبطان لفريد :

ـ ما هذا ؟ كنت أعتقد انك تنفر من الغرباء .

فقال فريد :

ـ إنه لم يسألنا من نحن ؟ ولم جئنا إلى هذا المكان ؟ شأن أي إنسان يتطلع إلى معرفة مثل هذا .

فقال الدكتور :

ـ إنه رجل طيب القلب ، على ما يبدو

ولما لحق بهم أريك قال له فريد .

ـ ماذا تحب ؟

ـ مثل ما أخذت .

ثم بدأوا يتجاذبون أطراف الحديث ، وتكلم أريك فلم يكن في كلامه ما يستحق الاستماع اليه ، ولكنه كان غامضا نوعا ما .

ولكن الطبيب لم يكن ممن يتسرعون في الحكم على الأشياء ، وحمل حالة البساطة ، التي تكلم بها أريك على أنها من نوع الاخلاص الذي ظهر على أسارير وجهه .

أما فريد فقد أعجب بأريك إعجاباً لم يكن من عادته أن يظهره لأي أجنبي . وقد لاحظ دكتور سوندرز عليه ذلك .

ثم قال له فريد :

– لنقدم لك أنفسنا . إسمي بليك .. فريد بليك . واسمه الدكتور سوندرز وهذا كابتن نيقولا .

وبعد ذلك نهض أريك وصافحهم ثم قال :

– أنا سعيد بمعرفتكم وأرجو لكم الاقامة هنا بعض الوقت .

فقال لهم الطبيب :

– أما تزالو تريدون السفر في صباح الغد ؟

فقال فريد :

– ليس لدينا ما يدعو للانتظار . فقد بحثنا هذا الصباح ، عن قارب ..

ثم توجهوا إلى غرف الطعام ، وكانت رطبة معتمة .. وكان هناك غلام يحرك مروحة في الغرفة للتهوية ، ومائدة طويلة جلس على أحد طرفيها شخص هولندي مع زوجته المتوسطة السن .. وكانت بدينة تلبس ملابس واسعة ، ذات لون أصفر ، وبجوارهما شخص آخر لون بشرته شبه داكن يدل على أنه من أصل وطن هولندي

وتبادل أريك معها التحيات .

ثم بدأ العشاء ، وقد وضعت على المائدة ألوان عديدة من الطعام . من اللحوم والأرز والبيض والموز ، وبعض ألوان غريبة ، بكميات وافرة ، وتجفف بعد ان أكلوا كميات كبيرة منها .

غير ان الكابتن نظر إلى الأكل بغير ارتياح وقال :

– إن في هذا هلاكي لو أكلته .. إن الانسان يجب مراعاة صحته في كل شيء ، ولم أكن أراعي هذه القاعدة ما استطعت حتى أصل بكم سالمين

إلى هذا المكان ، وان أحـــداً لا يستطيع اتهامي بانني أراعي مصلحتي الشخصية ، دون غيرها .

ثم اختفت ألوان الطعام التي كانت على المائدة تدريجياً وأكل نيقولا بشهية الشباب وقال :

– يا إلهي لم أصادف مثل هذا الأكل منذ مدة بعيدة .

وبعد ذلك تناولوا القهوة في الشرفة .

ثم قال أريك :

– يحسن أن تناموا الآن ، وعند تحسن الجو سأخرج معكم لنرى بعض المناظر الجميلة ، وآسف لأنكم لا تنوون الاقامة طويلاً . فإن المناظر عند البركان رائعة حيث يمكن الاشراف من هناك على الأفق البعيد .. وستتمتعون بمناظر الجزر المجاورة .

فقال بليك :

– أنا لا أمانع في البقاء حتى سفر الدكتور .

فوافق القبطان وقال :

– فلنسترح بعد أن قاسينا كثيراً في رحلتنا .

ثم طلب بعض الجعة ليهضم ، فقال له اريك :

– نعم ، ولكن بثمنها .

فقال القبطان :

– نحن نبحث عن أمكنة القواقع .. إن أي شخص باستطاعته جمع ثروة من هذا العمل !

ثم قال بليك :

– هل عندكم أي جرائد هنا . أعني جرائد انجليزية :

فقال اريك :

– ليس عندنا أية صحيفة لندنية ، ولكن لدينا جرائد استرالية يحضرها

معه فرث .

فقال بليك :

– ومن هو فرث ؟!

فقال اريك :

إنه رجل انجليزي يحضر جرائد من سيدني مع كل بريد .

فعلت وجه بليك مظاهر الاضطراب واصفر وجهه بعد ان اطلع على بعض هذه الجرائد ، دون فهم أحد سبب هذا الاضطراب .

- ١٥ -

فريد .. والصحف

وبعد ان هدأت حرارة النهار ، رجع اريك اليهم ، فوجد بليك يجلس مع دكتور سوندرز . أما القبطان فقد عاد إلى السفينة ، لأنـه شعر بتعب بعد الطعام ، واستغنى عن بعض الزيارات .

ثم توجه الطبيب مع بليك إلى البلدة وتجولا فيها . ولوحظ ان اريك كان يحيي شخصاً هولنديا من وقت لآخر ، وكان مع هذا الشخص زوجته السمينة التي بدا عليها عدم النشاط . ولم يوجد في الطرق كثير من الصينيين لأنهم لا يترددون إلا على الأمكنة التجارية . وشوهد بعض العرب بملابسهم النظيفة من التيل والكتان ، وبعضهم يرتدي الساري وهم تجار المطاط الخاص بالسيارات وقد ساد الموضع هدوء عجيب في جو ثقيل متعب . .

أما المنازل القديمة التي كانت لكبار التجار ، فإنه يسكنها الآن بعض البغداديين الذين بدت عليهم مظاهر الاحترام وإن كانوا شبه فقراء. ثم شاهدوا حائطاً كبيراً برتغالياً لونه أبيض ، وقد كان هذا المكان ديراً للبرتغاليين ، وبعد ذلك شاهدوا قلعة خربة تحيط بها غابـة صغيرة بها أنواع الزهور والأشجـار والنباتات الصغيرة المزهرة ، وأمامها ميدان واسع يطل على البحر تقوم عليـه أشجار باسقة ، أقامها البرتغاليون من أشجار الحاز والكتاري والتين الوحشي إذ كانوا يحتمون فيها هرباً من حر النهار .

ثم انحدر الطبيب وزميلاه إلى التل حيث الحصن المحاط بخندق عميق وباب وحيد مرتفع على الأزهار ، يصعد الداخل اليه بسلم ويوجد في المدخل برج إذا صعدت اليه تمتعت بمنظر رائع فوقه .

وكان النهار في طريقه إلى الزوال ، واكتسب ماء البحر لون النبيذ .. كالبحر الذي سافر فيه أدوسيس والمكان حول الماء في خضرة تشبه خضرة الملابس الكهنوتية في الكنائس الاسبانية ، لون أقرب إلى أن يكون صناعياً ، وصفه أريك بأنه كالفكرة غير الناضجة في مكان قائم يبدو حسناً من بعيد ما أن تنزل فيه حتى تجده مكتظاً بالحشائش والأشجار وأسماك الكابوريا ، وقال أريك :

– إني أرتاد هذا المكان كل ليلة لأستمتع بمنظر الغروب .. لأني أرى فيه كل جمال الشرق .. ليس شرق الأساطير فقط ولكن شرق العظمة والقصور والمعابد المنحوتة في الصخور والغزاة بملابسهم الخاصة الشرق الذي بدأ منه هذا العالم ، الشرق الذي فيه جنات عدن عندما كان الناس يعيشون في بساطة وصفاء ، وسذاجة . وكانت الدنيا في مثل هدوء الحديقة الغناء الخالية التي تنتظر قدوم صاحبها .

وكان لأريك طريقته الخاصة في الحديث .. وكان شخصاً خارقاً للعادة ..

فقال له فريد :

– ألا تشعر بحنين للوطن ، بعد طول مقامك هنا ؟

فأجاب :

– لا ، انه يندر أن أفكر في قريتي الصغيرة التي قدمت منها بأبقارها الصفراء والسوداء في مراعيها الخضراء في كوبنهاجن بنوافذها المسطحة كوجه إمرأة ناعمة ذات عينين كبيرتين كليلتين ، وقصورها وكنائسها كأنها من قصور وكنائس الأقاصيص الخرافية ، إني أحب الجلوس في شرفتي هذه وأرنو

ينظري إلى اللانهاية .

فقال فريد

— ألا ترى ان الحياة على هذه الصورة تصبح مملة ..

فقال أريك

— قد يكون ذلك حقاً .. غير ان الحياة هي ما تصنعه أنت منها ، كنت أعمل كاتباً في مصلحة وكفى . ولكني هنا أستمتع بما حولي من هؤلاء الملاويين والصينيين والهولنديين وسط كتبي وفراغي كأني أحد أصحاب الملايين ، يا رباه ما أحلى هذا العيش !

فنظر اليه فريد بلبك برهة — وبدا على وجهه عدم الارتياح — عندما حاول تذكر الماضي .

وقال لأريك

— وهل هذا كل ما تعتقد أنت وتحب أن يعتقد الناس كلهم ؟

فابتسم أريك وقال :

— هذه هي الحقيقة ؟

وقال فريد

— إن الحقيقة هي العمل لا الحلم ، إن الشباب لا يجيء إلا مرة واحدة في العمر ويجب أن يكون للمرء أهدافه، وكل إنسان يحب التقدم والكسب ليصل إلى مركز حسن إلى غير ذلك من المطامع ؟

وقال أريك

لا داعي لهذا الجدل والقول إن الانسان يجب عليه أن يقوم بنوع من العمل لكسب قوته ، ولكن ما زاد عن ذلك فهو لمجرد إشباع الخيال .

قل لي :

— عندما رأيت تلك الجزر من البحر وامتلأ قلبك سروراً .. وعندما نزلت فيها ثم وجدتها قاحلة .. فأي هذه الجزر أعجبتك ؟ وأيها سيبقى

في ذهنك ؟

فقال أريك

ــ هذا كله كلام فارغ يا بني ، ليس حسناً أن تتصور الدنيا تصوراً خاصاً ، فإذا حاولت تطبيق ما تتخيله على الحقيقة لا تجد إلا وهماً ، فان الانسان يجب أن يواجه الحقائق، إلى أين تستطيع الذهاب إذا أخذت الأمور بظواهرها ، إلى الجنة ؟

فأجاب الدكتور :

ــ إني لا أحسن التعليق على هـــذا الحديث ولكني أخبركما إني في غاية العطش .

فضحك أريك . وقام متباطئاً بجسمه الثقيل وقال :

ــ أن الشمس ستغرب الآن هيا بنا ننزل وسأعطيك شراباً في منزلي

وأشار إلى البركان في الجهة الغربية . وخاطب فريد :

ــ هل تود أن تأتي في الغد لتصعد عند البركان . إنك ستتمتع بمنظر رائع عند القمة .

ــ نعم .

فقال أريك :

ــ يجب أن تحضر مبكراً قبل أن يشتد الحر . سأذهب اليك عند القارب قبيل الفجر . ونأتي سوياً .

فوافق فريد . ونزلوا من التل وبعد قليل كانوا في المدينة .

وكان منزل أريك . يقـــع في الحي الهولندي . وبجواره حديقة ذات أشجار باسقة . تنمو فيها أشجار الفاكهة والموز وبعض أشجار الصنوبر . تنبت على أرضها بعض الأعشاب والحشائش ، الطفيلية ، ينتشر فيها الذباب .

وقال أريك :

ــ أن هذه المنطقة مخيفة . ومهملة وقد لاقى كثير من الهولنديين حتفهم

في تلك المنطقة .

وتوجهوا إلى قاعة الانتظار وهي عبارة عن غرفة مستطيلة في نهايتها نافذتان عليها ستائر ثقيلة ، وهنالك أحضر الخادم مشروب الجعة . وأدار أريك اسطوانة مسجلة على الميكرفون فوق مائدة صغيرة . ووقع نظره على حزمة من الجرائد .

وصاح في فريد ، قائلاً :

– هذه هي الجرائد التي سألت عنها . أحضرتها لك .

وتناولها فريد وجلس حول المائدة يطلع عليها . وكان الشريط الذي على الميكرفون يحوي نغماً حزيناً . ذكر الدكتور بأيامه الخالية في كوفنت وحفلاته وزائريه . كلها مرت بخاطر الدكتور وهو جالس في هذا المكان الموحش .

ولكن أذن الدكتور قد ألفت سماع الأنغام الصينية غير المرتبة . التي تحرك في نفسه ما تحركه الذكريات القديمة المريرة .

ولما قام أريك لاسكات الريكوردر ، نظر إلى فريد بليك ليرى أثر هذه الموسيقى الغربية فيه . ولكن فريد لم يكن ينصت إلى الموسيقى . وجلس غير ملتفت لما حوله . يجول ببصره من النافذة إلى خارج المكان . كأنه غارق في بحر من التفكير . غير السار

والقى عليه ضوء المصباح الذي كان جالساً تحته ظلالاً حادة كانت بمثابة قناع يخفي في وجهه بعض الأمور . ولما رأى أن الطبيب ينظر اليه تكلف الابتسام . ولكنه كان ابتساماً مراً . ينم عن الغموض والاشمئزاز . ولم يمد يده ليتناول الجعة التي كانت بجواره .

فسأله الطبيب :

– هل في الجرائد شيء ؟

فأحمر وجهه فجأة وقال

ـ لا شيء . إنها تتعلق بالانتخابات

ـ أين ؟

ـ في جنوب ويلز وقد فاز العمال

ـ أأنت من أنصار العمال .

فتردد فريد قليلا ، وبدت عليه حالة سبق أن لاحظها الطبيب أكثر من مرة ، وقال :

ـ أنا لا أهتم بالسياسة ، ولا أعرف عنها شيئا .

ـ كان يحسن أن تدعني القي نظرة على الجرائد .

فتناول فريد أحداها وأعطاها للدكتور ، فقال الدكتور :

ـ هل هذه أحدث جريدة ؟

فقال فريد

ـ لا ، هذه أقدمها ، ووضع يده فوق الجريدة التي كان يقرؤها

فقال الطبيب :

ـ إذا كنت قد انتهيت منها ، فإني أريد الاطلاع عليها ، فإني مشوق إلى معرفة الأخبار !

فتردد فريد قليلا ، ونظر إلى الطبيب في ابتسامة لها معناها ، وبطبيعة الحال لم يستطع فريد أن يمتنع عن أجابة الطبيب إلى ما طلب ، أعطاه الجريدة واقترب الطبيب من النور ليتمكن من قراءتها .

ولم يحاول فريد الإطلاع على باقي الجرائد . ولو ان بها ما كان يستطيع الإطلاع عليه ، ولكنه جلس يتظاهر بأنه ينظر إلى المائدة ، ولكن الطبيب كان واثقاً من انه يتطلع اليه ، ومن المؤكد أن فريد قد قرأ فيها قرأه شيئاً كان متعلقاً به .

وطوى الطبيب الجريدة ، وقال :

ـ ان بها الكثير عن الانتخابات ، رسالة من لندن وبرقيات كثيرة من

أوروبا وأمريكا ، والنشاط المحلي .

وعرج على الأخبار البوليسية ، وقال :

— ان الانتخابات أثارت كثيراً من الاضطرابات ، التي نظرتها المحاكم .

فقال :

— حوادث سرقة كثيرة في نيوكاسل ، وحكم صادر على أحمد مزوري بوليصة تأمين ، ومشاجرة بالمدى بين شخصين من جزر ترنجبار ، وقد اشتبه كابتن نيقولا في أن حادث القتل هو الذي اختفى من أجله فريد . وكانت بالجريدة أيضاً حادث قتل وقع في حقول الجبال الزرقاء نشرته الجريدة في عامودين من أعمدتها بسبب مشاجرة بين القاتل وشقيقين ، وقد سلم القاتل نفسه إلى البوليس ، وادعى انه كان يدافع عن نفسه ، وكان ذلك بعد سفر فريد ونيقولا عن سيدني ، وكان هنـاك أيضاً تحقيق حادث انتحار امرأة شنقت نفسها .

فقال دكتور سوندرز :

— وماذا في هذا الحادث ؟

كانت الجريدة التي نشرت الخبر اسبوعية ، وأكثر موضوعاتها أدبية ، ولكنها تناولت الحادث بالتفصيل ، كما تفعل الصحف اليومية ، وقالت الجريدة ان هناك شبهة حول أمر السيدة في انها قتلت زوجها قبل ذلك بأسابيع ، ولكن طرق الاثبات ضدها لم تمكن السلطات من محاكمتها ، وقد فحصها البوليس أكثر من مرة ، وكذلك كانت اشاعات الجيران عنها ، فقرر مجلس المحلفين انها انتحرت وهي في حالة عدم تعقل ، وقال مدعي الاتهام ان انتحار هذه السيدة قد قضى على كل أمل لدى البوليس لكشف الحقيقة في حادث قتل بارك هانشون وكرر الطبيب قراءة الخبر وقال :

— ان ما نشر عن ذلك كان عجيباً وقصيراً لا يمكن معه معرفة الكثير . فقد كانت السيدة في الثامنة والأربعين ، وكان من غير المعقول ان يكون اتفق

في سن فريد علاقة بها ، ولم يعد بعد ذلك لدى القبطان نيقولا ما يقوله فكان الأمر كله من قبيل الحدس ، وكان فريد محاسباً فربما استحوذ على نقود ليست له تحت ضغط الضائقة المالية بأن زور اذنا مصرفياً إذ كان متصلاً بشخص سياسي ذي أهمية ، ليحسن حالته بعض الشيء ، ووضع الطبيب الصحيفة على المائدة ، ونظر إلى عيني فريد الشاخصتين اليه بنظرة مطمئنة ، ولم يكن يريد ان يزج بنفسه طوعاً في متاعب وسأل فريد :

— هل ستتمشى في الفندق يا فريد ؟

فرد الشخص الدانمركي :

— سأتمشى مع فريد .

فقال الدكتور :

— حسناً سنتمشى .

وسارا في صمت وسط الشارع الحالك الظلام .

- ١٦ -

حوار

كان الدكتور يشرب الجعة في الشرفة ، قبل أن يحضر كابتن نيقولا الذي وصل بعد أن حلق ذقنه ، واغتسل وكان يلبس بذلة كاكي وقلنسوة على رأسه مائلة ، في مثل أناقة قرصان البحر .

ولما جلس قال :

— إن صحتي الليلة أحسن ، أنا لا أعتقد ان جناح القرحة يسبب لي بعض المتاعب . أين فريد ؟

فأجاب الدكتور

— لا أعرف انه انصرف إلى جهة ما !

وقال نيقولا :

— ربما ليبحث عن صيد ، أنا لا ألومه ولو اني لا أعرف ماذا يستطيع ان يفعله ، ان هذه مخاطرة كما تعلم .

فطلب له الطبيب مشروباً وقال :

— أنا كنت قليل التعلق بالنساء ، عندما كنت شاباً وكانت لي طريقتي الخاصة والحماقة التي ارتكبتها هي اني تزوجت من زوجتي العجوز .

وقال الدكتور :

— كفى . كفى .

وقال نيقولا :

– هذا غير ممكن ، انا لا أستطيع أن أفعل ذلك ولو ان الكلام عنها يستغرق طول الليل ، فلو انقلب شيطان إلى صورة إنسان لكانت صورة زوجتي العجوز ، هل من العدل أن تعامل إنساناً بهذه الصورة ؟ إنها مسؤلة عن سوء الهضم الذي اقاسيه . أنا أنتى من ذلك ثقتي بأني أنا الجالس امامك ، الذي يتكلم معك ، أنا أعجب لماذا لم اقتلها ، ولو إني حاولت ذلك ، ثم قالت لي دع هذه السكين يا كابتن ، فاني القيها والآن إني أسألك ، هل هذا طبيعي ولو إني حاولت الخروج من الغرفة لمنعتني وطلبت مني الانتظار حتى تقول ما تريده ..

وقال الطبيب :

– ألم يسبق لك ان عرفت شخصاً اسمه باتريك هانسون في سيدني ؟ كانت نهايته غير واضحة ؟

فأجاب :

– نعم .. وذلك قبل قيامنا برحلتنا بوقت غير طويل ونشرت عنه الصحف كثيراً .

– هل كانت له علاقة بشخص معين ؟

– هو من ذلك الطراز الذي يطلق عليه اسم الماس الخام ، هو من رجال سكة الحديدعلى ما أعلم . وكان عضواً عن جبهة العمال وشق طريقه في الحياة واشتغل بالسياسة وغير ذلك .

– هل انتحر ؟

– لا إنهم قالوا ان الانتحار من بندقية غير ممكن .. أنا لا أعرف اكثر من هذا لأني تركت سيدني بعدئذ .

– هل كان متزوجاً ؟

– كثير من الناس اعتقدو ان زوجته قتلته ، ولكن لم يمكنهم إثبات ذلك

فقد كانت في السينما وعندما عادت الى المنزل وجدته هكذا ، ورغم ان الظواهر دلت على انه كانت هناك معركة . فقد كان الأثاث مبعثراً وانا لم أفكر في من فعل ذلك وقالوا انها زوجته ، ودلتني تجاربي على ان الزوجات لا يستطعن التخلص من أزواجهن بسهولة ، إن يودمن المحافظة على حياتهم قدر المستطاع .

فأجاب الطبيب :

ـ ومع ذلك فان كثيراً من النساء قتلن أزواجهن .

ـ انها كانت مجرد حادثة ، إننا نعلم ان كثيراً من الحوادث تقع في أرقى العائلات فأحياناً يقتلون أولادهم غير الشرعيين الذين يجيئون نتيجة الافراط في الاختلاط وعدم المبالاة .

- ١٧ -

عودة من رحلة

استيقظ دكتور سوندرز في الصباح .. في حالة ذهنية مرحة .. فنادرا ما كان يذهب إلى النوم بعد ان يشرب الشاي الهندي الذكي الرائحة ، ويدخن سيجارته اللذيذة دون أن يتطلع الى الغد .

وبعد ان استيقظ ..

أحضر له خادمه آه كاي الافطار في الشرفة وكان من البيض والشاي ذي الرائحة الذكية .

وشعر بأن الحياة في ذاتها متعة ، وأحس بـأنه لا ينقصه أي شيء ، ولذلك فانه لا يضمر لأحد الحسد ، وكان الصباح ما زال صحواً لطيفاً ، وكان تحت الشرفة شجرة موز ضخمة ، تعرض ورقها الضخم لحرارة الشمس القاسية .

وقد حاول دكتور سوندرز أن يكون فيلسوفاً، وقال ان الحياة لا تقاس بلحظاتها المثيرة بل بفتراتها الهادئة .. التي لا تشوبها المتاعب ، وعندما تكون معنوية الانسان هادئة .

بعيدة عن الذكريات المثيرة ..

وعندما يقاس وجودها بمقدار بعدها عما يجري حولها على طريقة بوذا في عزلته ..

وفي هذه الأثناء أقبل فريد بليك وأريك كريستين يتمايلان في الطريق ، ثم قفزا إلى السلم وألقيا بنفسيهما على مقعدين بجوار الدكتور ونادا الخادم وقد بدأ سيرهما إلى البركان قبيل الفجر وعادا الآن في شدة الجوع .

وعاد الخادم اليهما ومعه البابإز واللحم البارد فسألتهما قبل ان يحضر لهما البيض وكانت حالتهما المعنوية طيبة ؟

وقد تحول تقارب السن بينهما إلى صداقة ونادى احدهمـــا الآخر باسمه مجرداً ، فريد وأريك .

وكان تسلق البركان شاقاً ، ونال منهما التعب ، فكانا يتحدثان ويضحكان على لا شيء أشبه بولدين حديثين ، ولم يسبق للدكتور ان يرى فريد في مثـل هذا المرح ، وقد أعجب فريد كثيراً بأريك ومصاحبته ، وظهرت عليه روائح الشباب الجديدة ، واستمال إلى انسان صغير السن . كان مظهر أريك يدل على الرجولة الكاملة ، وكانت نبرات صوته العميق الرنان تنطق بالمرح ، وقال فريد وهو ينظر باعجاب إلى أريك :

ـ ألا تراه قويا مثل الثور ، اننا استمتعنا بالتسلق العنيف ، فقد انكسر أحد الفروع وزلقت قدمي ، فكنت على وشك ان أرتطم فتنكسر رجلي أو أي شيء في جسمي

ولكن أريك أمسك بذراعي دون أن أعي ، ورفعني وأعادني وأعانني على الوقوف على قدمي مع ان وزني يبلغ ١١ ستون .

فابتسم وقال :

ـ أنا دائما قوي ، أرفع يدك

ووضع كلاهما قبضته على المائدة ، يحاول كل منهما أن يثني قبضة الآخر إلى المائدة « لعبة البرادفير » ، وتغلب أريك أخيراً ، فقال فريد ضاحكاً .

ـ أنا بالنسبة اليك ولد صغير . فان أحــداً لا يستطيع أن يصمد أمام قوتك ، ألم تتشاجر أبداً ؟

فقال أريك
— لا . لم ذلك ؟
ثم انتهى من الأكل ، وأشعل سيجاراً ، وقال :
— يجب أن أذهب لمكتبي ، ان فيرث يسأل عما إذا كنا ستتوجه اليه كلنا في هذا المساء لتناول العشاء .
ثم انصرف .

فقال سوندرز :
— لا مانع عندي من الذهاب .
فقال أريك
— والقبطان أيضاً ، سألتقي بكما في الساعة الرابعة .

وانصرف وشيعه فريد بليك بنظرة ، وقال سوندرز :
— انه شخص أحمق ، أعتقد انه لن يذهب .
— لماذا ؟
— لأن طريقة كلامه تدل على ذلك .
— ماذا قال ؟

— لا أعلم ، ولكنه تكلم معي عن شكسبير ، مع إني أعلم الكثير عن شكسبير ، فقلت له إني قرأت ما كتبه عن هنري الخامس عندما كنت في المدرسة ، وجعل يقرأ علي بعض كلامه ، وانتقل إلى هملت وعطيل ، ولا أدري ماذا وهو يحفظ الكثير عنهم قلبياً ولا استطيع أن أذكر لك كل ما قاله ، إني لم أر أحداً يتكلم بهذه الطريقة قبل الآن .

— ولماذا لم تطلب منه السكوت ؟
عندئذ لاحت ابتسامة في عيني فريد ، ونظر في جد وقال :
— ألم ترَ سيدني أبداً .
— لا . ان النساء هناك يتحدثن عن الكتب .

- يبدو انك مسلم باحوالهن ، ولكني لا استطيع أن أفسر ذلك ، تماماً لأنه لما تحدث أريك عن ذلك كان الأمر مختلفاً ، فإنه لم يكن يقصد شيئاً ، أو يلقي في نفسي بمعنى خاص ، وهو انما تكلم هكذا لأن هـذه طريقته ولم يخطر بباله انني اتضايق من هذا ، ولم يكن حديثه يعني ولم أهتم بما قاله ولم أفهم نصف ما قال . ولكن كلامه كان حسناً إذا كان المقصود منه مجرد التمثيل ، انك تفهم المعنى الذي أرمي اليه .

وقد ألقى فريد بكلماته هـذه ليمهد لشيء ، كما يفعل « الجنايني » عندما يصلح أرض الحديقة تمهيداً لزرعها ، ويضع أكوام التراب ، وفي حيرته هـذه حك رأسه فنظر اليه سوندرز بعينين باردتين ماكرتين ، فارتبج على الفتى وبدا عليه أنه يريد أن يتطلع إلى نتيجة كلامه وما أحدثه في نفس سوندرز ، أجل .. إن النقاد يقسمون الكتاب إلى نوعين ، نوع لا يعرف كيف يعثر على ما يجول بخاطرك ونوع آخر يحسن التعبير ، ولكنه فارغ الذهن وهذا ينطبق على كل إنسان ..

ونظر فريد إلى سوندرز نظرة مفعمة بالريبة وقال :

- ألا تعلم انه قد أعارني رواية عطيل ولا أدري سر هذا .. وأظنك قرأتها .

- نعم من اكثر من ٣٠ عاماً .

- ربما كنت مخطئاً ، ولكن أريك عندما كان يقرأ فقرات منهـا كانت تبدو مثيرة لا أعرف لم ذلك . ولكنك عندما تكون في رفقة شخص كهذا فان كل شيء يتغير ، أنا أقول انه شبه مخبول .. ولكني كنت أتمنى لو اني أستطيع أن يكون لدي القليل من خصاله ..

- لقد كونت فكرة عنه .. أليس كذلك ؟

- نعم .

وبدا عليه الارتباك .. والخجل !

ـ ان أريك هذا واضح كزهرة الطاولة ، أنا لا أصدق أحداً في العالم مثل ما أصدقه ، انه يبدو كالثور في قوته الجسمانية ، وسأزور معه فريث ؟

وقال ساندرز :

ـ ومن هو فريث هذا ؟

وقال أريك

ـ لديه مزرعة جميلة يعيش فيها مع ابنته .

- ١٨ -

في منزل فريث

ذهبوا جميعاً إلى منزل فريث في غابة على بعد ثلاثة أميال في طريق تحوطه من الجانبين أشجار كبيرة ..

وكان هذا المبنى الكبير غير مقام على أعمدة ، ولكن بطريقة هندسية أخرى وتحيط به حديقة غير منسقة .

وقد استقبلهم فريث على السلم عندما قدمهم له أريك .. بعد أن سلموا جميعاً .

وقال لهم فريث :

– إنه يسرني رؤيتكم ، انني لم أر بريطانيا منذ مدة كبيرة ، هل لكم في مشروب .

وكان فريث رجلاً ضخماً سميناً .. أشعث الرأس أصفر الشارب ..

بدا الصلع يتزايد في رأسه .. وكان وجهه الأحمر يتصبب عرقاً دائماً ..

وفي وسط أسنانه ترى سناً كبيرة صفراء كأنها آيلة للسقوط .. يرتدي بذلة قصيرة من الكاكي ..

وفي مشيته كان بادي المرح ..

ثم اخذهم إلى غرفة كبيرة مزينة جدرانها ببعض الأسلحة الملاوية وقرون

الغزلان والأدغال مفروشة بجلود النمور علامة الثراء ..

وبعد دخولهم نهض رجل قصير وحيام دون أن يتقدم اليهم ، بدت عليه علامات الشيخوخة .

وقال فيرث :

— هذا سوام والد زوجتي ؟

وكان هذا الشخص شديد الصفرة ، يفيض من عينيه الزرقاوين ، اللذين زال شعر حاجبيهما ، بالمكر والدهاء !

وكانت نظراته مسددة بريئة كنظرة القرود ، وقد هز أيدي الرجال الثلاثة دون أن يتكلم . ثم فتح فاهه الخالي من الاسنان ، وخاطب أريك بلغة غير مفهومة للآخرين .

فقال أريك

— أن مستر سوام سويدي .

فنظر اليهم هذا الشيخ واحداً واحداً نظرة مشوبة بشيء من السخرية .

ثم قال :

— لقد حضرت إلى هنا منذ خمسين عاماً ، حيث كنت أعمل بحاراً على أحد القوارب الشراعية ، ولم أعد منذ ذلك الحين ، ولكن ربما عدت العام القادم .

أنا أيضاً رجل بحار يا سيدي .

ولكن مستر سوان لم يعره أي التفات ، ثم قال .

وقال القبطان :

— كنت تاجر رقيق ؟ كانت هذه البضاعة مجزية نوعاً ما في الماضي ، أما الآن فقد محي أثرها تماماً

وقال مستر سوان :

- اشتغلت حداداً وتاجراً وفلاحاً ، وقد حاول الوطنيون قتلي عدة مرات ، وأصبت في صدري بماء في الرئة بسبب جرح من أحد الوطنيين ثم تركوني بين الموت والحياة ، وكانت لدي ثروة لا بأس بها ، أليس كذلك يا جورج ؟

فأجاب جورج :

- هذا ما سمعته .

واستطرد قائلاً :

ولكن الزلزال الذي وقع دمر مخازني وافقدني كل شيء ، هذا لا يهم ، على كل حال ، انه لم يبق لي إلا هذه المزرعة ، إنها تمدنا بما يكفينا . وبكل ما تريده . أنا لي أربع زوجات ، وعدد من الأطفال فوق ما تتصور .

وكان يتكلم بصوت مرتفع مقطع بطريقة سويدية حتى ليصعب عليك أن تفهمه ، إذا لم تنصت له جيداً ، وبسرعة كمن يلقي درساً . واختتم كلامه ضاحكاً .

وأحضر خادم ملاوي زجاجة من الويسكي ، وصب قريث المشروب . وقال :

- هل أصب لك كأساً يا سوان ؟

وقال له :

- لم هذا السؤال يا جورج ؟ أنت تعلم جيداً إني لا أحتمله ، أعطني شيئاً من الروم والماء ، ان هذا الويسكي هو الذي أتلف منطقة الباسفيكي ، عندما قدمت أول الأمر من السويد ، لم يكن أحد يعرف الويسكي ، ولو ان الأمر اقتصر على الروم ، ما صارت الآن على هذا النحو الذي يرثى له .

وقال القبطان :

لقد مررنا في طريقنا إلى هنا بجو قاس نوعاً ما .

وقال مستر سوان :

– أتتحدث عن الجو القاسي ، إني رأيته عندما كنت صبياً ، وأذكر اننا كنا على ظهر سفينة ، وكنت في طريقي إلى ساموا في جزر بحر الهبردز الجديدة ، وصادفنا أعصار فأمرتهم ان يصعدوا بسرعة إلى جانب القارب ، ونزلنا إلى البحر للمراقبة ، ولم أذق النوم لمدة ثلاثة أيام ، وتحطمت أشرعة السفينة وقوارب النجاة ، هذا هو الجو الخشن فلا تتحدث لي أيها الفتى عن قسوة الجو .

ونهضوا وتركوه كأنه طير فقد ريشه ، شغل بالروم والماء ، وخرجوا إلى الحديقة ، وبعدها نزلوا إلى المزرعة ، وكان الجو حسناً وأشجار الكناري ، التي ينبت تحتها أبو فروة ، وارتفاعها كارتفاع مآذن المساجد ، وكانت أوراق الأشجار الذابلة تغطي الأرض ، وأسراب الحمام تطير جماعات فوق الرؤوس محدثة صوتاً قوياً ، والببغاوات الصغيرة جاثمة فوق فروع الشجر ، كانهـــا جواهر حية تلوح في هذا الجو البراق .

وشعر دكتور سوندرز بارتياح - شعر انه شبه روح بلا جسم ، وفي حالة مرح وسرور واسترخاء . وسار مع فريث والقبطان

وكان فريث يشرح لهم كل شيء ، عن شجر الجوز ، وكان أريك وفريث يسيران خلف سوندرز ونيقولا ، ومالت الشمس إلى المغيب تلقي اشعتها على أشجار الجوز تحت ظلال أشجار الكناري الضخمة ، فكان لون اشعتها كلون النحاس الذي سلطت عليه النيران ، وكانوا يسيرون في طريق طويـــل غير مستقيم ، ظهرت عليهـا آثار أقدام المارة ، وفوجئوا بفتاة قادمـة نحوهم ، أطرقت بعينيها إلى الأرض كأنها في تفكير عميق ، وما أن سمعت أصواتهم حتى تسمرت في مكانها .

وقال فريث :

— هذه ابنتي .

وظلت تنظر إلى القادمين نحوهـــا ، وكانت ترتدي ساريا من طراز أهل جاوه .

وكان الساري لا يخفي شيئاً من تكوينها . فقد كانت شديدة النحافة ، ضيقة الخصر . طويلة الساقين . تبدو لأول وهلة طويلة ، وكان لونها من وقع أشعة الشمس يشبه لون عسل النحل ، ولم يكن الدكتور يتأثر بصفة عامة بجمال النساء ، وكان كل ما يلفت نظره قوام المرأة ودرجة جاذبيتها - كما ينظر إلى المائدة من حيث قوتها ومساحتها ، وقد ذكره منظر هذه الفتاة بتمثال الآلهة في أحد المعابد اليونانية الرومانية ، وكانت نحافتها تشبه نحافة الصينيات في قوارب الزهور في كانتون ، وكانت تلوح في جمال زهور تلك المنطقة ، وقال لها أبوها :

— هؤلاء هم أصدقاء كريستيس .

فلم تمد يدها وانما أومأت إلى سوندرز والقبطان برأسها تحية بعد أن قدمهما لها ، وكانت عيناها زرقاوين وتقاطيعها رقيقة ومتجانسة ، وجملة القول إنها كانت فتاة رائعة الجمال ، وقالت :

— كنت الآن استحم في البركة .

واتجه نظرها إلى أريك ، وابتسمت ابتسامة صداقة عريضة .

وقال لها فريث :

— وهذا فريد بليك .

فأدارت رأسهـــا نحوه واستقر نظرها عليه بعض الوقت ، واختفت الابتسامة من فمها وعندها مد فريد يده للسلام ، وقال :

— يسرني رؤيتك .

واستمرت هي تنظر اليه في دهشة ، كأنما سبق أن رأته . وتحاول أن تتذكر ، ولم يستغرق هذا الموقف إلا دقيقة .

ولم يلحظ ذلك أحد ، وقالت :

ـ كنت ذاهبة إلى المنزل ، لأرتدي ملابسي .

ـ سأذهب معك .

ولما وقف أريك بجوارها ظهر إنها لم تكن فارعة الطول ، ولكنها كانت ممشوقة القوام نحيلة الخصر ، وفي طريقهما إلى المنزل سألت :

ـ ما هذا الفتى ؟

ـ لا أعرف ، هو شريك الشخص النحيف الأشيب ، إنهم يبحثون عن قواقع اللؤلؤ ، ويحاولون العثور على حقول جديدة للصيد .

أما الآخرون فقد استمروا في طريقهم إلى المزرعة .

- ١٩ -

حول المائدة ..

ولما عادوا وجدوا أريك جالساً وحده مع سوان .. وكان الرجل العجوز يحكي قصة لا تنتهي بلغة غريبة خليط من السويدية والانجليزية عن مغامراته في غينيا الجديدة .

ثم قال فرث :

— أين لويز ؟

فقال أريك :

— أنا كنت أساعدها .. كانت الآن في المطبخ والآن تغير ملابسها .

ثم جلسوا وطلبوا مزيداً من الشراب ، يتكلمون في غير موضوع ، كأن لم يكونوا متعارفين من قبل .. وكان مستر سوان متعباً . ولما عاد الضيوف التزم الصمت .. ثم أخذ يتطلع اليهم بنظراته الحادة غير الصريحة .. المشوبة بالشكوك .

ثم قال القبطان لفرث :

— إنه ضحية سوء الهضم .

فقال فرث :

— أنا لم أشعر بأي ألم في معدتي ، لكن أشكو من الروماتيزم .

قال القبطان :

ـ أعرف كثيراً من الناس كانوا ضحايا هذا المرض . أحدهم صديق لي من بريسيين كان من أحسن المرشدين ، وصل به الكساح حتى أصبح يمشي على عكازين .

فرد فرث :

ـ إن لكل إنسان متاعبه ..

قال نيقولا :

ـ ليس هناك ما هو أسوأ من عسر الهضم .. ولولا هذا المرض لكنت الآن من الأثرياء .

فرد فرث :

ـ إن المال ليس كل شيء .. أنا لا يهمني المال ما دمت أجد مأكلي ومنزل آوي اليه .. إن الفراغ هو الأمر الذي يهم .

وقد أضفى دكتور سوندرز إلى الحديث ، من كلماته العذاب ، الشيء الكثير .

وقال فرث ،

ـ كنت في وقت ما معجباً بفوجا ، ولكنه على كل حال كان يستنق فرعاً من مذهب الانتقالية عند سانكهيا ، ولمست ان ماديته غير معقولة . وكل هذه الفلسفة لا معنى لها .. ويجب أن يكون هدف الانسان في الحياة الوصول إلى علم طبيعة النفس الكاملة ، وان فقــدان الشعور والتجرد ومواقف العناد لا تهيىء لك الوصول إلى معرفة حقيقة النفس ، أكثر مما توصلك له الطقوس الدينية .. وعندي الكثير مما يمكن كتابته في هذا الشأن سأنشره في الوقت المناسب في كتاب بعد أن أتم تنسيقه .. إن هذه الآراء في ذاكرتي من عشرين عاماً .

قال الدكتور :

ـ كنت أعتقد ان عندك من الوقت هنا ما يمكنك من ذلك .

قال فرث :

— الوقت لا يكفي لكل ما أريد .. فإني قضيت السنوات الأربع في عمل ترجمة شعرية لألياذة كامرانيس كما تعرف ، وأحب ان أقرأ لك قصيدة أو قصيدتين منها . فليس هنا من يستطيع أن يفهم شيئاً عن النقد الصحيح ، فإن كرستين دانمركي ولا أثق بفهمه .

قال الطبيب :

— ولكن هذه الألياذة لم تسبق ترجمتها قبل ذلك .

قال فرث :

— نعم ، ترجمها برثون وغيره ، ولكنه ليس شاعراً ، وترجمته رديئة لا تحتمل ، ويجب على كل جيل ان يترجم لنفسه المؤلفات الكبيرة العالمية ، فإن الغرض ليس بمجرد الترجمة ، ولكن إبراز النغمات الموسيقية والشعور بالاحساس الذي كان يشعر به المؤلف .

قال الطبيب :

— ما الذي دعاك إلى التفكير في ذلك ؟

فرد :

— إنها آخر قصص الأبطال ، وفوق ذلك فإن كتابي عن الفنتهاندا لا يفهمه إلا الخواص .. ومهر ابنتي هو ترجمتي للألياذة ، فإني سأعطيها كل ما أمتلكه ، وهو غير كاف ، وان المال ليس مهماً جداً .. إني أريدها أن تفخر بي .. إني أعتقد ان اسمي لن يندثر بسرعة وستكون شهرتي كذلك جزءاً من مهرها .

واستمر دكتور [illegible] صمته .

وبدا له ان من المضحك أن يترجم هذا الشخص شعراً برتغالياً لا يتجاوز من يفهمه بضع مئات .

ثم قال فرث وحياة ينطق بالجد :

– إن الانسان يتعجب لما تجري به الحوادث ، فلست أستطيع ان أتصور ان عملي هذا كان بمجرد صدفة .. أنت تعلم طبعاً ان الكاميوتز كان جندياً حسن الحظ كما كان شاعراً .. حضر إلى هذه الجزيرة ، ولا بد ان يكون قد رأى البحر من الحصن الذي شاهدته منه ، وإني أسائل نفسي لماذا قدمت إلى هذا الموضع ؟.

لقد كنت ناظراً لمدرسة ، وعندما تركت كامبردج كانت أمامي الفرصة للحضور إلى الشرق ، وفرحت لأني كنت أتوق إلى ذلك في طفولتي ، ولكن عمل التعليم لم يتناسب ومواهبي . وكنت لا أطيق الناس الذين كنت أختلط بهم . لقد كنت في ولاية الملايو ، ثم حاولت أن أذهب لأجرب حظي في بورنيو فما كان أفضل ، فاشتغلت بالتعليم .

قمت بعمل في كلكتا مدة من الزمن ، ثم أنشأت مكتبة في سنغافورة ولكنها لم تكن مجزية .. فأدرت فندقاً في بالي ، ولكنه لم يكن مناسباً .. وأخيراً دلفت إلى هذا المكان .. ومن الغريب ان اسم زوجتي كان كارين .

وأضاف :

– هذه هي لويز قادمة ، يبدو أن العشاء قد جهز .

فاستدار الطبيب لينظر اليها .. لقد كانت تلبس ساريا أخضر اللون ، مزخرفاً بخيوط ذهبية ، ذات قوام نحيل . إنها كانت مثل واحدة من حريم السلطان ، في جاكارتا ، عند ارتدائها مثل هذا الساري في المناسبات . وكانت تنتعل حذاء أخضر زاد في رشاقتها ، وكان شعرها أشقر هشاً ، مرفوعاً فوق رأسها في بساطة . وأضفى عليها الساري الذي تلبسه رشاقة وجمالاً .. وكان معطراً بروائح زكية أحسنت اختيارها من صنع أحد قصور المهراجات .

قال فرث :

- ما هذا الزي الجميل ؟

ـ أريك أعطاني هذا الساري أمس . فانتهزت الفرصة ولبسته .

وابتسمت ابتسامة شكر لهذا الداغركي .

ـ إنه قديم . لا بد انه كلفك كثيراً يا كرستين . إنك تدلل البنت .

ـ لقد استدنت مبلغاً كبيراً للحصول عليه ، لأني أعلم ان لوز تحب اللون الأخضر .

ثم أحضر الخادم الملاوي وعاء كبيراً به حساء ووضعه على المائدة ، ثم قال فرث :

ـ هل يجلس الدكتور إلى اليمين و كابتن نيقولا إلى اليسار يا لوز ؟

قال سوان

ـ ما حاجتها إلى الجلوس بين هذين الكهلين. دعها تجلس بين اريك وفريد.

قال فرث

ـ أنا لا أرى ما يمنع من الاستفادة بجلسة محترمة .

وأضاف فرث

ـ تجلس أنت بجانبي يا دكتور ، وأظن ان كابتن نيقولا يجلس إلى يساري. أما مستر سوان فقد جلس في المكان الذي اعتاده .

وقدم فرث الحساء ، وقال سوان وهو ينظر إلى الدكتور ونيقولا

ـ من أين أحضرت هذين الشخصين ؟ يبدو لي انهما ماكرين . كيف تم لك اصطيادهما يا أريك ؟

قال فرث

ـ انك تتكلم تحت تأثير « الشراب » يا مستر سوان .

قال سوان

ـ أنا لا أخفي الاساءة .

قال نيقولا

— لم يحصل من أحد إساءة إطلاقاً ، لم يتحدث أحد أني أعوج بقدر ما يقولون عني اني ساذج ، وأظن ان هذا هو رأي الدكتور عني ومبلغ علمي ان الذي يمتيه الانسان عند قوله لأحد انه أعوج إنما يعني انه أمهر منه ، هذا كل ما في الأمر ، واني أسألك ، اليس هذا صحيحاً ؟

فأجاب سوان :

- أنا أعرف الشخص الأعوج عندما يقع نظري عليه ، وقد وقع نظري على الكثير من هؤلاء ، وقد كنت أنا شخصياً هكذا في يوم ما

ثم ضحك ضحكة عالية مثل صوت الاوزة :

وسأل نيقولا :

— ومن منا لم يكن هكذا ؟

ثم مسح بيده الحساء الذي كان يتساقط من فمه ..

— وأنا أرى انه يجب على الانسان ان يأخذ الأمور في هذه الدنيا كما هي، وأن يتوخى التسامح دائماً .

ثم قال فريث :

— ان الحق هو هدف الحياة ، والنساك هم الذين يشعرون بيهاء المدن .. واننا نشعر بأكبر تقدير لها ، لأننا نقيم بعيداً عنها وان طريق المعرفة هو الطريق الصحيح وهو في متناول الجميع .

واستطرد وهو يوزع الطعام على الضيوف :

— أنا معجب بالرأي القائل ان الانسان يجب ان يكرس حياته للاطلاع .

ثم نظر إلى سوندرز وإلى سوان العجوز وهو ينحني في مقعده .. ونظر الى لويز وقال :

— لن أنتظر طويلاً حتى أتحرر من التزاماتي ، بعد ذلك سآخذ كل حاشيتي وأسافر للبحث عن العلم الذي هو فوق كل شيء ..

ونظر سوندرز إلى فريث واستقرت عيناه على لويز التي كانت جالسة في

آخر المائدة بين الشابين وقالت :

— أظن انه يحسن بك يا جدي أن تذهب إلى الفراش .

— قبل أن أشرب كأسي ؟ لا .. لا !

— إذاً فاشربها بسرعة .

وصبت الكمية الكبيرة التي طلبها بيتا جمل ينظر إلى الكأس بمين براقة إلى الروم وأضاف اليه بعض الماء ، وقال :

— يا اريك ، ضع لحناً على الجرامفون .

ففعل الدانمركي ما أمر به وقال :

— هل ترقص يا فريد ؟

— أترقص أنت ؟

— لا .

ونهض فريد ونظر إلى لويز وتقدم اليهو في انحناءة يدعوهـــا للرقص .. فابتسمت وأخذ يدها وأحاطها بذراعه وبدءا يرقصان .

وكانا ثنائياً ظريفاً ، ووقف ساندرز مع أريك بجوار الجرامفون واتضح لها ان فريد كان يجيد الرقص ، وكان رشيقاً بشكل لطيف وجمـــل من زميله راقصاً له مثل مهارته .

وكان في استطاعته ان يتجاوب مع حركات لويز ، وكانت هي متجاوبة لما في ذهنه .

واجاد رقصة الفوكس تروت ، كأحسن ما يكون . فقـال له سوندرز عندما انتهت الموسيقى :

— إنك راقص عظيم ..

وقال فريد مبتسما :

— انه الشيء الوحيد الذي أجيده .

ثم نظرت لويز إلى الأرض نظرة جادة كأنما تحاول أن تفيق ، وقالت :

ـ يجب ان أذهب لآخذ جدي إلى سريره .

ثم ذهبت إلى جدها الذي كان لا يزال يحتسي ثمالة كأسه الفارغة ، واتكأ عليها واخذته إلى مخدعه .

ثم قال فريث :

ـ ما رأيكم في ان نلعب البريدج ، هل تحبون اللعب يا سادة ؟

فقال نيقولا :

ـ نعم ، ولكن لا اعرف رأي ساندرز وفريد .

واجاب ساندرز :

ـ أنا أكون رابع اللاعبين ان كريستين يجيد اللعب .

وأجاب فريد :

ـ انا لا أريد ان العب ؟

فأجاب فريث :

ـ هذا حسن ، نستطيع ان نلعب بدونك .

ووقف فريد بجوار الميكروفون متيقظا ، وقال للويز ،

ـ هل أقفل الجرامفون ؟

ـ لا . دعنا نبحث عن رقصة اخرى ، فان والدي وأريك منهمكان في البريدج ؟

ثم سارت نحو المائدة وسار معها ووقفا برهة خلف كابتن نيقولا .. فالقى عليه الكابتن عدة نظرات قاسية لم يستطع بعدها ان يجيد اللعب ، ثم قال :

ـ أنا لا أستطيع ان العب بينما ينظر إلي أي أحد .. لا شيء يؤذيني مثل هذا ؟

فأجاب فريد :

ـ أنا آسف ..

وقالت لويز

- دعنا نخرج .

وكانت غرفة المقابلة يقع بابها على الشرفة .

فخرجا اليها وكان هناك كثير من عصافير الجنة ، فأخذ يدهـا وهي تهبط على الدرج ، ثم سألته :

- ألا تلعب البريدج ؟

فأجاب :

- نعم .. بالطبع .

فسألته :

- ولماذا لم تلعب إذاً ؟

فأجاب :

- لأني لا أريد ؟

وكان المكان شديد الظلام ، يخيم عليـه هدوء شجر الموز المخيم عليه أسراب الحمام النائم والجو في سكون ، وكانت الطيور الأخرى تطير في ترنح مثل شخص مخمور يتمايل في طريقه ، وسارا قليلاً دون ان يتحدثا ، ثم وقف وأحاطها بذراعيه الناعمتين ، وقبلها بلطف في فمهـا ، فلم تنزعج ولم تظهر الدهشة ، ولم تحاول ان تنسحب ، بل استقرت برأسها على كتفيه في هدوء ..

فقال لها :

- كم أنت جميلة !

- إن وجهك جميل جداً ؟

فقبلها ثانية وقبل عينيها وقال لها

- قبليني ..

وابتسمت وأخذت رأسه بين يديها وقبلته قائلة :

ـ يجب ان نعود .

وعادا الى المنزل وقال لها هامسا :

ـ اني احبك ..

فلم تجب ، ولكنها ضغطت يده بشدة .

ولما وصلا إلى النور ودخلا الغرفة كانت نظراتها قلقـــة ، ورفع أريك بصره نحوهما وابتسم للويز وسألها :

ـ اكنتما عند البركة ؟

لا ! إن الظلام كان شديداً .

وجلست فتناولت جريدة هولندية مصورة وجعلت تتأمل الصور ، ثم وضعتها مكانها ، واتجهت بنظرها إلى قريد وحدقت ببصرها فيه دون ان يبدو على وجهها أي شيء ، وبين آونة وأخرى كان أريك يختلس النظر اليها ، ونهضت لويز قائلة

إني ذاهبة للنوم ..

- ٢٠ -

لويز ..

سأل أريك

ـ أتشعر بميل للنوم ؟

فأجاب ساندرز

ـ لا ، ان الليل ما زال في اوله .

ـ تعال مكاني وخذ طاقية الليل ..

ورافقه إلى الشارع الخالي !

ولم يكن بالشارع أحد مطلقا ، وسار ساندرز بخطى سريعة ضعف سرعة اريك ، نظراً لقصر قامته بجانب اريك العملاق ..

ولما وصلا إلى منزل اريك القى ساندرز بنفسه على اول مقعد ، وذهب أريك لإحضار الشراب .

وأخذ يصب الشراب لضيفه ولنفسه ..

ثم قال ساندرز

ـ ماذا عن مسز فريث ، أهي ميتة ؟

ـ نعم ، ماتت في العام الماضي ، كانت طويلة القامة ضخمة جميلة في شكل آلهة الريفجول ، ويقول سوان العجوز انها في شبابها كانت اجمل من لويز !

وكان سوان العجوز عمره ربع قرن عندما حضر إلى الشرق ، وقد استغرق سفره إلى هذا المكان ما يقرب من اثني عشر عاما ، وكان يسأل كل من يراه عن الجزيرة ، ولكنه علم انهم في بورنيو في الشرق الأقصى لا يعرفون عنها شيئا .

وصار يتنقل من مكان الى مكان باحثا عنها إلى ان عرف مكانها .

ثم نظر أريك الى الغرفة المصنوعة من المرمر وضحك ..

ثم قال

ـ انه أعدها لنفسه على مثال تلك القصور التي كانت في خياله الخصب ، وعلى كل حال فإنها كانت أكثر الأمكنة مطابقة لما كان يبحث عنه ، وأخيراً اقتنع انه لم يخطيء لأنه تأكد إنها هي نفسها من أعمدتها وحجراتها المصنوعة من المرمر .

وقال سوندرز

ـ أنت صورت لي الرجل أعقل مما كنت أتخيل .

ـ انه وجد هنا عملاً ، فقد كانت التجارة إذ ذاك أكثر منها الآن ، وبعد ذلك أحب ابنة سوان العجوز وتزوجها .

وقال سوندرز

ـ وهل كانا سعيدين معاً ؟

وقال أريك

ـ ان سوان لم يكن يحبه كثيراً ، أن فريث كان إذ ذاك نشطاً ومفكراً وصاحب مشروعات ، وكانت زوجته تعبده لأنها اعتقدت انه رجل هائل ، ولما تقدم العمر بسوان تولت شئون المزرعة والبيت ، واعتنت بكل شيء ، وبذلك وصلت إلى ما كانت تريده ، وكان يسرها أن ترى زوجها عاكفاً على كتبه يقرأ ويكتب مذكراته . وكانت ترى فيه الانسان المثالي .

وقال أريك

ـ أنت لا تعرف الكثير عن فريث .

وقال سوندرز

ـ أنا لم أكوّن رأياً عنه .

وقال أريك

ـ لقد علمني كثيراً وأنا أدين له بالعرفان ، وكنت صغيراً عندما حضرت إلى هنا ، وقد كنت في جامعة كوبنهاجن ونلت هناك بعض الثقافة ، وكان والدي صديقاً لجورج براندز ، وكذلك بولور درافان الشاعر الذي كان يتردد على منزلنا ، وكان جورج هو الذي علمني قراءة مؤلفات شكسبير ، ولكني كنت جاهلاً جداً . وفريث هو الذي جعلني أتذوق سحر الشرق ، فان الناس يحضرون هنا ولا يرون شيئاً ويعودون قائلين :

أهذا كل ما في الشرق واني لن أنسى المرة الأولى التي اخذني فيها فريث إلى الحصن وجعل يشرح كل ما يتعلق بهذا الحصن وما كان من أمر الملك سبستيان الذي حضر هو وجنوده وحاشيته إلى ذلك المكان في موقعة الكاسر وما كان من حزنه حين علم كيف انهزم ملكه ومات لأن هذه الهزيمة قد كلفت البلاد حريتها .

ـ يبدو .. ان النبيذ الذي قدمه لك مستر فريث كان قوياً يا اريك .

فابتسم وقال :

ـ انه أسكرني بنوع من السكر لا ينشأ عنه أي صداع في الصباح ، لا يمكن ان أنسى هذا الرجل . كان أحياناً يسبح في مجال الروح ويقول فهمت .. عندما أعجز عن متابعته .. اكتفي بالنظر إلى الأرض وأنا أعلم انه يستطيع الاتيان بالغرائب ..

وفي يوم مزق فيه سوان بعض محفوظاته في سنة كاملة . عن الألياذة انفجرت كارين باكية ، وكل ما يدر منه انه تنهد وخرج يقريض ولما عاد

أحضر الرجل العجوز الذي كان مهتاجاً لما صدر منه ، زجاجة من الروم قال انه اشتراها من نقود سوان .

وقال :

ـ لا تيأس أيها الرجل العجوز .. إن ما مزقته لم يتجاوز بضع صفحات من الورق إنها كانت مجرد آراء خيالية .. ومن الحق التفكير فيها مرة أخرى . ان الحقيقة باقية .. لأنها غير قابلة للعبث .

ثم عاد في اليوم التالي واستأنف الكتابة وقال لي : إنه سيقدم إلي بعض فصولها لأقرأها ولكن يظهر انه نسي .

وقد أعجب الدكتور بهذا الداغركي — لأنه كان أهلاً للثقة ، حسن النشأة .

وفي جميع الأحوال كان مخبره يدل على انه أنزه من مظهره .. وان كان هذا المظهر قوياً — قد لا يكون كثير الحذق ولكنه كان موضع ثقة ، وكانت بساطته وأمانته تزيدها إنسانية وجمالاً .

وقال ساندرز :

ـ وهل قامت لويز بكل شيء بعد وفاة أمها ؟

قال أريك

ـ نعم .

ـ إنها صغيرة جداً ..

فقال اريك

ـ أأصدقك القول ؟ اننا خطيبان وخطبتنا لم تعلن بصفة رسمية بعد وانها فتاة صغيرة ، ومن ثم لا يشغل بالي الانتظار .

إنها فتاة جميلة جداً ورأسها مدبرة ، وفيها كل روح والدتها العملية ، فقلبها الطيب يحمل روحاً ذات صفاء ، أشبه بالطيف في الجسم أشبه بنفس

داخل الروح ان صفاتها الجميلة كلها قد انبثقت من امها ذات الجمال الأخاذ .

ثم استطرد أريك يقول :

- هل قرأت هانسي اندرسن في كتابه « ميرميد الصغيرة » الذي صدر من مائة عام ؟

- إن هذه الروح المتأججة المحببة التي احسست بها في لويز ليست بعيني فقط ولكنها في دخيلة نفسي .. فانها شبه ميرميد تماماً .

إن في لويز ما يؤثر فيك عن بعد .. إنها نادرة وجميلة أنا لا أغير من صفاتها الحسنة ولا أخاف منها ، ولكني أحس أن هذه الصفات لا تكون بهذا الصفاء بعد أن تصبح زوجة .

وأما ومهما يكن من جمال روحها الآن فسيكون الأمر غير ذلك فيما بعد ان هذا الأمر قائم بذاته ، إنها طبيعة النفس الانسانية ، قد يكون هذا شأننا جميعاً ، ولكن العجيب في امرها انها شديدة الحساسية ولو أن عينيك كانت اكثر عمقاً في النظرة اليها لأحسست بذلك واضحاً ، واني لأخجل من اني ليس لدي مثل صفاتها .

فقال الطبيب :

- لا تكن غبياً .

فقال أريك

- انا لا اعتقد اني كفء لها بحالتها الحاضرة ، كان يجب ان أتقدم على الأقل بجسم لطيف رقيق .

- ما هذا يا بني ؟

وظن الطبيب ان اريك يتكلم كلاماً لا معنى له ، ولكنه لم يجد في نفسه ميلاً للدخول معه في نقاش .. فإن الوقت كان متأخراً ، وكان عليه أن يذهب لشأنه وكان قد انتهى من شرابه ..

وما لبث ان قال :

ـ انا لا أهتم بالشكل البدني ، ان الرجل العاقل يربط بين صفات الحواس وجمال الروح بالطريقة التي ترضيه من كليهما .. وان أغلى ما تعلمته في الحياة الا آسى على شيء .. فالحياة قصيرة والطبيعة غير صديقة .. وسلوك المرء فيها موجب للسخرية ومعرض للكثير من المصائب التي قد تصادفه ويستطيع المرء فيها بشيء من المرح أن يجد عملاً طيباً كان يبدو له أولاً غير ذي قيمة ..

ثم نهض واقفاً وانصرف .

- ٢١

البرقية

وفي اليوم الثاني جلس سوندرز على مقعد يقرأ كتاباً ، وقد علم من مكتب لاستعلامات السفن ، ان سفينة ستصل في اليوم التالي ، وإنها ستتوقف في جزيرة بالي عما سيمكن سوندرز من مشاهدة تلك الجزيرة الجذابة - ومن هناك يمكن الوصول إلى سورا بايا - وقد كان سوندرز يقضي أجازته ، ولم يكن أحب اليه من أن يظل هكذا لا يعمل شيئاً .

وتمتم في نفسه قائلاً :

رجل فراغ ما أحلى هذا . فقد تتاح لي الفرصة لألتقي بأناس طيبين .

وفي هذه الآونة حضر فريد بليك وحياه وجلس معه وسأله :

- هل وصلتك برقية ؟

- لا . هذا آخر ما أتوقعه :

- لقد كنت في مكتب البريد منذ لحظة ، وسألني رجل البريد عما إذا كان أسمي سوندرز لأن لي لديهم برقية غريبة .

- هذا خبل وجنون . إنها برقية شفرية من يكون مرسلها ؟

- هل أستطيع أن ألقي نظرة عليها ، إنها شفرة معروفة ويمكنني أن أخبرك بما جاء فيها ، ويمكن وجود كتب الشفرة هنا .

فسلمه سوندرز البرقية ، وكانت بالأرقام ، كل كلمتين أو جملتين يعبر عنها بعدة أرقام ويوضع نقطة بعد كل جملة .

ان هذا يليـق في الأعمال التجارية ، هذا ما أعلمه ، فقد كنت أهوى الشفرة ، هل تمانع في أن أحاول حلها ؟

ــ أبداً .

ــ انه بعض الوقت حتى نعرف حل الشفرة ، هناك في مكتب بريطاني من يستطيـع حل أصعب شفرة يخترعها أي شخص في خلال ٢٤ ساعة .

ــ اذهب اليه .

ــ سأحاول حلها

ثم تذكر سوندرز فجأة انه فهم كل شيء ، وطلب من فريد أن يعيد اليه الشفرة ، فأعادها اليه ونظر إلى العنوان المرسلة منه .

ــ ملبورن . ولم يعدها إلى فريد ثانياً ، وقال :

ــ إنها على أي حال ليست لك .

فاضطرب فريد لحظة وابتسم كانه يداهن شخصاً يحب التملق

وقال سوندرز :

ــ حسناً هذا طبيعي ، ولماذا أرسلها بعنواني ؟

ــ ربما لأني أعمل على الفنتون ــ وبذلك قد لا تصلني ، وقد يكون الأمر بحاجة إلى التأكيد من شخصية المرسل اليه ، وهـــذا قد يترتب عليه بعض المتاعب وطلبت أن ترسل باسمك .

ــ إنك تفكر بأعصاب سليمة .

ــ أنا أعرف إنك لا تنزعج من هذا .

وقال سوندرز

ــ وما حصل في البريد من سؤالهم عن اسم سوندرز ما سببه ؟

ــ هذا محض اختراع .

فضحك سوندرز وقال :
- ولكن ما قولك إذا كنت مزقتها ؟
— أنا كنت على يقين من إنها لن تصل إلا اليوم ، فإنهم لم يعرفوا عنواني إلا أمس .
— من هم هؤلاء ؟
— من أرسلوا البرقية
— انه لم يكن مما يشرفني مصاحبتك لي هذا الصباح .
قطعاً لا
واستمر فريد قائلاً :
- ان الناس الذين أرسلوا البرقية لم يكونوا يعرفون إني معك .

ثم أعادها سوندرز اليه .
وقال له :
— خذها . ان لك حظاً كحظ الشيطان .. أنا أعتقد أن مفتاحها في جيبك .
وقال :
— في رأسي .

وانصرف إلى داخل اللوكاندة ، واستمر سوندرز في القراءة ، ولكن باله كان مبعثراً ، ولم يكن من السهل أن يطرد من رأسه هذا الذي حصل ، وجعل يبحث عن السر في هذا التصرف ، فإن هذا الغلام — فريد — كان ضعيفاً .

ثم هز سوندرز كتفيه وقال :
— على أي حال أن الموضوع لا يهمني .
وجعل يحاول صرف ذهنه عن هذا الأمر ، ولكن فريد ما لبث أن عاد إلى الشرفة وقال

ـ هل تريد مشروباً يا سوندرز ؟

وكانت عيناه تلمعان ووجهه شبه ممتقع ، يبدو عليه الاضطراب ، لقد كان في حالة مثيرة ، وحاول أن يضحك ليسيطر على أعصابه .

وقد خانته شجاعته وقال له سوندرز :

ـ ألديك من أخبار سارة ؟

وعندها لم يستطع فريد السيطرة على أعصابه ، وانفجر ضاحكاً .

وقال سوندرز :

ـ سارة إلى هذا الحد ؟

وقال فريد

ـ لا أعلم ان كانت سارة أو رديئة .

إنها على كل حال مضحكة ، كم تمنيت أن أتمكن من أخبارك بها إنها غريبة ، ولا أستطيع أن أدري ماذا أعمل ، وليس عندي من الوقت ما يجعلني أستسيغها . ولا أدري هل أنا أقف على رأسي أم على قدمي ؟

فنظر سوندرز اليه فاحصاً ، ولاح له كأن الشاب استعاد حيويته فغدا صريحاً .. واضحاً .. وكأن حملا قد فارق كتفيه . وهنا حضر الشراب .. وقال سوندرز وهو يمسك بالكأس :

ـ أطلب منك أن تشرب في ذكرى صديق لي قد مات .

ـ وما اسمه .

ـ سمث .

وشرب كأسه دفعة واحدة .

وقال سوندرز :

ـ يجب أن أسأل أريك عما إذا كان في الامكان الذهاب إلى أي مكان هذا المساء ، فإني أشعر أن قدمي ليست مني . وأنا بحاجة إلى .

قليل من الرياضة .

ثم قال :

– متى تسافر ؟

وقال سوندرز :

– لا أعرف .. وأود أن أبقى هنا بعض الوقت ، وكنت أحب أن ترى المنظر من أعلى مع أربك وقد كان بالأمس جميلا .. أن هذه الدنيا ليست رديئة كما تظن أليس كذلك ؟

وهنا أقبلت عربة يجرها جواد وتثير وراءها سحابة من الأتربة ، ووقفت أمام الفندق .. فقد كانت لويز تقود العربة ووالدها بجوارها ، ونزلت وصعدت وكانت بيدها لفافة من الصحف .

ثم فض فريث اللفافة التي كانت تحوي نشرات مكتوبة على الآلة الكاتبة .

وقال سوندرز

– إذا لم تكن مشغولا . وقد استطيع أن أقرأ لك بعض هذه النشرات ، فان الشعر يجب أن يقرأ بصوت مرتفع ، وان المؤلف هو خير من يستطيع أداء ذلك

فتنهد سوندرز لأنه يعلم انه لا يمكن ان يثني فريث عن عزمه .

ثم قال

– هل ترى من سبب لبقاء ابنتك في الشمس ؟

فقال فريث

– ان لديها ما يجب عمله ستذهب لبعض شأنها وتعود إلي .

فقال فريد

– هل تسمح لي بمصاحبتها يا سيدي ؟ فإنه ليس لدي ما أعمله ؟

وقال والدها

ـ ربما يسرها ذلك . .

ثم نزل وتحدث مع لويز ولاحظ سوندرز إنهـــا تنظر اليه في حذر ، ثم ابتسمت قليلاً وقفز فريد إلى جانبها وانصرفت العربة .

وقال فريث لسوندرز

ـ أود أن أقرأ لك الباب الثالث ، قصيدته موسيقية ويعجبني ، انه من أحسن ما جادت به قريحتي ، هل تعرف البرتغالية ؟

ـ لا أعرفها

ـ أنه شيء يدعو للأسف ، سأترجم لك كلمة كلمة . انه سيسرك أن ترى كيف امكنني التصرف في النغم الموسيقي .

ولا مانع لدي من أن تنقد مــا تريد . وأنا مستعد للاصغاء إلى كل ملاحظاتك ، ولكن هــذه هي الترجمة الصحيحة ، واعتقد انــه ليس هناك ما يفوقها .

ثم بدأ يقرأ بصوت جميل ، وكان الشعر عن أقاربنا وفريث يعطي بعض التركيز مع القافية الضعيفة ، وأخذ سوندرز ينصت اليه ، وكانت الترجمة سهلة في طلاقة ، وذلك بفضل المقاييس التي قام بهــا فريث حيث القاها في شكل درامي ، وكان يضغط على كل آخر بيت .

وشعر سوندرز بشيء من الملل أسلمه إلى النعاس ، ثم أفاق سوندرز فجأة على حالة سكون ، إذ لم يجد فريث ووجد فريد جالساً أمامه في ابتسامة تنم عن الخبث في وجه رقيق

وقال له

ـ لقد أخذت أغفاءة لطيفة .

ـ لم أكن نائماً .

ـ كنت تشخر ورأسك فوق صدرك .

ـ أين فريث ؟

ـ لقد قام .. فقد عدنا بالعربة .. وذهب للمشاء ولا أريد أقلاقه .

ـ أنا أعرف ما الذي أغضبه .. انه عشق حلماً .. وان لذة تذوق الجمال في عدم امكانك تحقيقه ، وان الآلهة لتسخر من الناس عندما يحققون رغباتهم .

ـ إني لا أفهم ما تقول . أنت لا تزال نصف نائم .

ـ دعنا نتناول كوباً من الجعة . هذا هو كل ما تستطيع تحقيقه .

٢٢

البرقية ..

في حوالي الساعة العاشرة مساء من تلك الليلة كان نيقولا والطبيب يلعبان لعبة « الاثنين والثلاثين » في غرفة الاستقبال في الفندق ، وحضر كرستين فسأله الطبيب :

ـ أين كنت طوال اليوم ؟

ـ كنت أزور المزرعة في الطرف الآخر من الجزيرة ، وأظن انه كان يجب ان أعود قبل ذلك . ولكن رئيس المزرعة كان مشغولاً في مأدبة بمناسبة مولد طفل له فانتظرت لهذا السبب .

قال الطبيب :

ـ إن فريد كان يبحث عنك .. لأنه أراد أن يمشي .

ـ لو كنت أعرف لأخذته معي .

فجلس وطلب الجعة وقال :

مشيت عشرة أميال ، ثم كان علينا ان نعود ثانية ، ونجدف حول الجزيرة .

وقال نيقولا :

ـ هل تريد أن تلعب الشويت ؟ « ناظراً اليه نظرة ماكرة » !

وقال

- لا ، إني متعب ، أين فريد ؟

فأجاب

- إنه يبحث عن الغرام ، أظن هذا غير متاح في مثل هذه الأمكنة ؟

فرد نيقولا

- لا ينبغي أن ننتقد هذا فإن شاباً جميل الوجه في سن الشباب كما تعلم تترامى عليه الفتيات ولما كنا في بيروت كنت أجتهد في إبعادهن عنه فأنا وأنت نعلم انه قضى وقتاً طيباً الليلة الماضية

قال أريك

- مع من ؟

فأجاب

- مع هذه البنت الموجودة هناك .

- تمتي لوز ؟!

فابتسم أريك لأن الفكرة كانت تسره .

وقال نيقولا

- على كل حال أنا لا أعرف، فإنها حضرت معه ثم ألقت نظرة على القارب في هذا الصباح ، وأحسبه كان أعد نفسه لذلك فقد حلق ذقنه ونظف جسمه ولبس بذلة نظيفة وسألته عن سبب ذلك فقال لي لا شأن لك بهذا .

- إن فرت كان هناك في الصباح ، وربما يكون قد دعا فريد العشاء معهم الليلة .

- إنه تمشى على الفانتون .

واستمر نيقولا في اللعب هو والدكتور، وكان اريك يدخن سيجاراً هولنديا كبيراً وكان نيقولا ينظر اليه شزراً من وقت لآخر بشكل يثير الرعب وبعد برهة نظر اريك إلى ساعته وقال

- أنا عائد إلى الفانتون ، وقد يكون فريد يرغب في الذهاب معي الصيد

صباح باكر.

ـ قد لا تجده .

ـ لم ؟ إنه لن يتأخر في منزل سوان إلى هذا الحد .

ـ يحسن ان تتأكد من ذلك إنهم ينامون في العاشرة والساعة الآن الحادية عشرة . وقد يكون النوم أفضل الآن .

ـ أنا أعتقد ان هذه الفتاة مشغولة بشخص في هذه اللحظة ، وليتني كنت مكانه .

وكان اريك واقفاً، فنظر الى الطبيب ،نيقولا الجالسين على المائدة ، واصفر وجهه وأطبق قبضته كأنما كان يحاول ضرب نيقولا ، وصاح في غضب ..

فنظر اليه الطبيب نظرة عدم ارتياح دون ان ينزعج ، فقد كان شخصاً رقيقاً . وقد لاحظ الطبيب عليه انه قد كظم غيظه ، ثم قال في صوت يرتجف .

ـ إنه لشيء حسن ان يدرس الانسان الناس بنفسه .

وقال نيقولا

ـ هل صدر مني ما يؤذيك ، أنا لم أعلم ان السيدة صديقة لك .

فنظر اليه اريك نظرة احتقار وانصرف ، فرد الطبيب

ـ هل يود ان ينتحر يا نيقولا ؟

ـ إنهم أغبياء

فضحك الطبيب قد خاطرت بنفسك ، لانه لو لم يكبح جماح غضبه ، فربما كان يسارع في ضربك قبل ان يفهم ما تريد .

ولم يصرح له الدكتور بأن لويز مخطوبة لأريك ، وقال

ـ هناك من الناس من لا يحبون سماع مثل هذا الكلام عن بنات أصدقائهم .

ـ دعنا من هذا يا دكتور لا تلق اللوم علي في هذا .

فرد الطبيب بطريقته الخاصة

— أنت تعلم يا نيقولا انك من أسوأ من قابلتهم .

— هذا نوع من الثناء ، اليس كذلك ، إن هذا أمر مضحك يا دكتور ، لو إني كذلك لما أحببتني. هذا إذاً يدلني على انك ايضاً لست قديساً ، وأحب أن أقول إني سمعت الكثير عنك في أمكنة أخرى .

فلمعت عينا سوندرز وأجاب

— هل أتعبك الهضم اليوم يا نيقولا ؟

— إني غير مستريح ، وسأكون كاذباً إذا قلت لك غير ذلك . أنا لا أقول إني أشعر بالألم ولكني غير مستريح .

— إنه أمر طبيعي ، فلا تتوقع أن تهضم رطلاً من الرصاص ، بعد علاج أسبوعين ؟

— أنا لا أريد ان آكل رطلاً من الرصاص ، ولكني لا أشكو ولا أنكر انك عالجتني .

— لقد طلبت منك ان تخلع أسنانك . انه لا فائدة منها ، ويعلم الله أن وجودها لن يزيد من جمالك

— سأفعل سأعطيك كلمة شرف،ولا أدري لماذا لا نذهب تواً إلى سنغافورة حيث نجد طبيباً امريكياً ماهرا لهذا المرض .. ولكن فريد يود ان يذهب الآن إلى باتافيا . نعم قد وردت له برقية هذا الصباح ولم أعرف ما تضمنته ولكنه يود ذلك .

فسأل الطبيب

— كيف عرفت انه وردت اليه برقية ؟

— قد وجدتها في جيب صدرته ، إذ ليس بذلة نظيفة للذهاب إلى الشاطىء وترك صدرته ملقاة هنا ، وهذا يدلك على انه ليس بحارا ، فإن البحار يكون دائماً نظيفاً مرتباً .

— إن البرقية كانت شفرية ، أعتقد ، يا نيقولا إنك لم تلاحظ انها

كانت مرسلة باسمي .

لا لم ألاحظ ذلك .

ـ حسناً أعد النظر اليها إني سلمتها لفريد ايحلها

ـ إذا وما سبب هذا التغيير والتبديل ؟. إنه كان دائماً يحب الانزواء عن الأمكنة الكبيرة ليكون بعيداً عن رقابة البوليس وعلى كل حال سأذهب الى سنغافورة حتى ولو غرق القارب .

واتكأ نيقولا على مرفقه وجعل يحدق في عين الطبيب ويقول

ـ أني أعجب لشاب لا يتناول طعام الإفطار ، ثم يتحدث عن الفتيات .

٢٣ -

جريمة

وذهب أريك إلى الشاطىء ، يمشي في خطوات متئدة ، غير متأثر بملاحظات كابتن نيقولا ، التي تركت في نفسه مرارة ــ كأنه تناول جرعة مرة اقتضته أن يبصق بعدها .

ولكن حبوره لم يفارقه ، وغمغم عندما تذكر سخرية الكابتن به ، لقد كان فريد فتى رائع ــ ولم يؤمل ان يلفت نظر أية سيدة أكثر من مرة ، وكان يعتقد ان لويز لم تكن تعبأ به أو تفكر فيه على الأطلاق .

كان الشاطىء في هدوء ــ فقد نام كل الناس . ثم سار إلى أن وصل الفانتون ، وقد كانت راسية على بعد مائة ياردة ، وكان ضوؤها ينعكس على المياه كعين تنظر إلى سطح الماء الناعم . فنادى .. ولكنه لم يتلق جواباً . إلا صوتاً خافتاً نائماً أرتفع بجواره ، وكان صوت الشخص الأسود الذي ينتظر وصول القبطان نيقولا . ونزل أريك إلى القارب ، وكان الرجل ما زال نائم ثم تثاءب بصوت مرتفع عندما تحرك فسأله أريك

- هل هذه هي الفانتون ؟

- نعم ــ ماذا تريد ؟

وظن الرجل أو الأمر أن السائل قد يكون القبطان أو فريد ، ولما لم يكن أحدهما اضطرب وغلبه الشك .. فقال له أريك :

ـ خذني إلى القارب إني أريد أن أقابل فريد بليك .
ـ انه ليس هنا .
ـ هل أنت متأكد ؟
فقال :
ـ نعم .. إلا إذا كان قد حضر عائماً .

فحياه أريك وانصرف ، ثم استأنف الرجل النوم . ومضى أريك إلى الطريق الصامت ، فقد ظن أن فريد ربما يكون قد ذهب إلى البنجالو ، وهناك احتجزه فريث ليتحدث معه في مسألة الفلسفة أو الرياضة .

ثم ابتسم عندما خطر له أن فريث لا يحسن الانجليزية ، ولم يكن أريك يجهل شعور هـذا الفتى نحوه ، لقد كان يمجد البطولة ولا ضرر في هذا على كل حال .

انه كان شاباً لطيفاً وفي استطاعة أي إنسان أن يستفيد منه إذا لزم الأمر . وكان لطيف الحديث ويحاول فهم ما لم يفهمه .

ثم مشى أريك مؤملاً أن يلتقي مع فريد ليعودا سوياً ويتوجهان إلى بيته ليتناولا شيئاً من البسكويت والجبن والجعة .. إذ أنه لم يشعر بحاجة إلى النوم فإنه ليس حوله من يمكن أن يتكلم معه غير فرث وسوان العجوز وكان انصاته لحديث سوان أكثر من التكلم معه . وكان يسر بحديث سوان في فترة الليل .

وكان أريك متحفظاً في خصوصياته ، ولكنه صمم على ان يخبر بليك بأمر خطبته الوزا ، لأنه يود أن يحيطه علماً بذلك ، وكان مشوقاً إلى الكلام عنها في تلك الليلة .

وفي بعض الأحيان كان الحب يتملكه لدرجة انه إذا لم يجد من يحدثه فإنه يشعر ان قلبه سيتحطم ، وكان ساندرز لا يقدر هذه المعاني ، ولذلك فانه سيتحدث في هذا مع بليك ، لأنه سيقدر مشاعره اكثر مما يقدرها غيره

وكان ما زال على بعد ثلاثة أميال من المزرعة الا انه كان مشغول الذهن فلم يحس بتلك المسافة ، ولذلك انتابته الدهشة لما وجد نفسه قد وصل وعجب لأنه لم يجد بليك ، فخطر له انه لا بد انه قد ذهب إلى الفندق حينا كان عند الشاطيء ، وكم كان من الغباوة بحيث لم يفطن إلى ذلك وود لو ان ما فكر فيه صحيح لا شيء يمكن عمله إذاً

وما دام قد وصل إلى المزرعة فلا بأس من أن يجلس بعض الوقت وبطبيعة الحال كان الكل نياماً ، ولكنه لم يرد أن يزعج أحداً ، فذهب إلى البنجالو بعد أن نام الجميع وجلس مفكراً ..

وكان هناك مقعد في الحديقة تحت الشرفة يجلس عليه سوان العجوز عند اعتدال الجو مساء أمام غرفة لويز . ورأى أن يجلس في هدوء ينظر إلى نافذتها مفكراً فيها ، وهي نائمة تحت ناموسيتها يتصور شعرها الجميل الذهبي المنتشر على الوسادة أثناء نومها ، على جنبها ، وثديها اللطيف المرتفع أثناء نومها العميق ..

وكان الشعور الذي ملأ قلبه عندما تصور كل هذا شعوراً طاهراً ملائكياً وكان أحياناً يحزنه عندما يتصور أن هذا الجمال العذري سيختفي ، وان جسماً جميلاً كهذا سيأتي عليه اليوم الذي يموت فيه ، انه لأمر فظيع أن يموت مخلوق كهذا .. وجلس هكذا إلى أن هبت نسمة باردة في الجو، وأنذره صوت الحمام باقتراب ظهور النهار .

وكانت هذه الساعة هادئة وذات جمال أخاذ ، ورأى النافذة الخشبية تفتح في تؤدة ، وخرجت منها لويز ، ربما لأن الحر قد أقلقها ، أو إن حلماً أيقظها فخرجت تشم الهواء ، وسارت بقدم عارية في الشرفة تمد يدها على قائم السلم وهي تنظر إلى الليل الهادىء ، وكانت تلف جسمها بالساري ، ولكن الجزء العلوي منه كان عاريا ، ثم رفعت يدها وعبثت بشعرها الأصفر المتدلي على كتفيها وجسمها الفضي في ظلام هذا الليل وكأنها ليست من لحم ودم ..

بل كانت فتاة روحية وكان أريك يتخيل انها ستتبدل إلى طائر جميل أبيض وتطير إلى أرض الخرافات عند شروق الشمس على طراز ما قرأه من الخرافات الهولندية

وجلس ساكناً في هذا الليل البهيم ، ولما تنهدت أحس كأنه أمسك بذراعها وان قلبها اختلط بقلبه ، وعادت إلى غرفتها وأقفلت النافذة .

فقام أريك وجلس عند النافذة المواجهة لغرفتها حيث الظلام مـــا زال مخيماً على ما حوله في هـدوء شامل ، وكأن الموجودين بالبيت موتى لا نائمين ، غير ان هذا السكون لم يكن مخيفاً في هدوئه ، ولكنه يشعرك بالراحة .

وكان نور القمر إذ ذاك قد أضاء البيت كله .. وفجأة فتحت نافذة لويز ، وتعلقت بها أنفاس أريك وكأن لا شيء أحب اليه في تلك اللحظـة من أن يراها ..

فخرجت إلى الشرفة ولم تكن تلبس إلا الساري الذي كانت نائمـة به ، وفي ضوء القمر مرت كالطيف وبدا الليل وكأنه واقف يترقب وكأن سكونه أشبه بشيء حي يستمع ..

فخطت خطوة واثنتين ونظرت من الشرفة إلى ما حولها لتتأكد من عـدم وجود أحد ، وكان اريك يتوقع نزولها إلى السلم كما فعلت قبـــل ذلك .. فيستطيع أن يرى لون عينيها ، واتجهت إلى نافذه غرفتها وجعلت تتأمل . فعند ذلك خرج من الغرفة شخص وقف هنيهة كأنه يريد أن يمسك بيـدها ولكنها هزت يدها مشيرة إلى درج السلم ، فذهب إلى حيث أشارت ، ووقف ينظر إلى الأرض التي كانت على بعد ستة أقدام .. ثم قفز من الشرفة .

وبعدها دخلت لويز غرفتها وأقفلت النافذة من خلفها

وعلى أثر ذلك تملكت أريك الدهشة ، ولم يستطع أن يفهم ما حـدث ولم يصدق عينيه ، فبقي مكانه على مقعد سوان العجوز ، وزاغ بصره .

ثم زاغ حيث رأى الرجل الذي قفز قد جلس على الأرض يحاول لبس حذائه .. وعندئذ فكر أريك في التحرك – فأسرع إلى ناحية ذلك الرجل الذي كان على مقربة منه وأمسك به من رقبته . والقى به الى الأرض ، ففزع الرجل وفتح فاه يطلب الغوث .

ولكن أريك وضع يده على فمه .. وخنقه . فلم يستطع الرجل أن يفعل شيئاً .

ووقف جامداً يتفحص أريك وخارت قواه ، أمام قبضة أريك القوية . ولما نظر أريك إلى هذا الشخص .. ظهر له انه فريد بليك !

- ٢٤ -

الحقيقة

وبعد مضي ساعة ، سمع دكتور سوندرز الذي كان مستيقظاً وقع أقدام في الطرقة وصوت احتكاك الباب . فلم يبد حركة . ورأى مزلاج الباب يتحرك ، ولكن الباب كان مغلقاً ، وقال :

- من هذا ؟

- أنا بليك يا دكتور . إني أريد أن أراك . في صوت مضطرب - إني أريد أن أراك . وكان الطبيب وقتئذ قد تناول الجرعة السابعة من غليونه منذ انصرف عنه نيقولا إلى الفانتون . وكان يكره أن يعكر عليه كائن من كان صفو ساعة التدخين .

فرفع الناموسية ودلف حافياً إلى باب الشرفة . ولما فتحها وجد حارس الليل ملفوفاً في بطانية . تقيه برد الليل وبيده مصباح ، وخلفه وقف فريد بليك وقال :

هل تسمح لي بالدخول يا دكتور ؟

انتظر حتى أضيء المصباح

وعلى ضوء المصباح ، مصباح الحارس أمكنه أن يجد الثقاب ، وأشعل المصباح . فاستيقظ آه كاي الخادم الذي كان يرقد في الشرفة على حصيرة . وفرك عينيه ثم انصرف الحارس بعد أن أتحفه بليك بشيء من النقود

ثم طلب الطبيب من خادمه أن يستمر في نومه .

ثم قال بليك :

ـ يجب أن تذهب إلى أريك . فقد حدث حادث .

وقال الطبيب :

ـ ماذا تعني ؟

ونظر الطبيب إلى بليك ـ ووجد لونه في مثل بياض الورق يرتعش كل جسمه وقال :

ـ أن أريك أطلق الرصاص على نفسه .

ـ يا الهول . كيف كان ذلك .

وقال بليك :

ـ أنا قادم فوراً من هناك . لقد مات .

ثم جعل الطبيب يهيء نفسه للذهاب ـ ولكنه عندما سمع الجملة الأخيرة وقف ـ وقال :

ـ أمتأكد أنت ؟

ـ نعم .

ـ إذا كان قد مات . فما جدوى ذهابي ؟

ـ يجب عدم تركه على هذه الصورة ـ إذهب اليه ـ يا إلهي .

وكان بليك يتكلم في صوت من يحاول الصراخ وقال :

ـ ربما كان في إمكانك أن تفعل شيئاً

وقال الطبيب .

ـ ومن معه هناك ؟

ـ لا أحد . هو راقد وحده . أنا لا أطيق ذلك . أرجوك أن تفعل شيئاً استحلفك بالمسيح .

ما هذا الذي في يدك ؟

وكانت يده ملطخة بالدماء . ولما انتبه إلى ذلك حاول تلقائياً أن يمسحها في بنطلونه .

وقال الطبيب :

ـ لا تفعل ذلك . لا بد من غسله .

وقاده إلى الحمام ، ونظف جسمه ، ثم سأله ـ بعد أن رفع المصباح وتمعن يفحصه ـ في دهشه .

ـ هل بملابسك آثار دماء ؟

ـ لا أظن.

ثم ألقى الطبيب بالماء الملوث بالدم ، وذهب إلى غرفة النوم . وقــد فزع « بليك » لرؤية الدمـــاء ، وحال السيطرة على نفسه حيث كان في حالة هستيرية . وازداد لونه امتقاعاً وارتعشت يداه ، ولاحظ الطبيب انه غير قادر على ضبط أعصابه .

وقال له :

ـ الأفضل أن تتناول مشروباً .

ونادى كاي خادمه وقال له :

ـ أعط السيد ويسكي بدون ماء .

ثم شرب بليك الويسكي الذي قدمه له كاي بسرعة . وجعل الطبيب يراقبه بدقة .

وقال له :

ـ انظر يا بني ـ نحن الآن في بلد أجنبي ، ولا نريد أن نقع في أشكال مع السلطات الهولندية انهم ليسوا من السهولة بحيث تستطيع التفاهم معهم .

وقال بليك :

ـ ولكننا لا نستطيع تركه هكذا غارقاً في بركة من الدماء .

ـ ألم يحصل لك في سيدني مــا يجعلك تتركها بهذه المبحة ؟ أن

البوليس هنا سيوجه اليك كثيراً من الأسئلة . هل تريد منه أن يعرق إلى سيدتي يتقصى عنك .

وقال بليك :

— لا يهم .. إني ضقت ذرعاً بكل شيء .

— لا تكن غبياً . إذا كان قد مات فلا أنت ولا أنا نستطيع عمل شيء . يجب أن تتدبر الأمر . وخير ما نفعله . أن نسارع إلى ترك الجزيرة بقدر مسا يمكن ، هل رآك أحد هناك ؟

فقــال :

— أين ؟

في المنزل .

فقــال :

لا لم أمكث هناك ، غير دقائق ، وحضرت مسرعاً إلى هنا .

- وأين كان رجاله ؟

— أعتقد انهم كانوا نياماً يقيمون خلف المنزل .

- إذن فإن الحارس الليلي هو الوحيد الذي رآك ؟ لماذا لفت نظره ؟

- لأني لم استطع الدخول .. فقد كان الباب مغلقاً .

وما الذي دعاك للذهاب إلى أريك ؟

- كان لا بد من ذهابي لأخبره بشيء عاجل ؟

— أظن انه لم يطلق النار على نفسه كذلك لم تقتله أنت أليس كذلك ؟

وقال بصوت ملأه الرعب والذهول :

— لماذا أقتله ؟ أنا لم ألحق به إدنى أذى . انه كان كأخي ، لم أصادف انساناً أحب إلي منه .

وقد اشمأز الطبيب من هذه الأقوال التي تفوه بها بليك الذي كان لا يخفي شعوره نحو أريك ، ولكن الطبيب فهم من كلامه انه قال الحقيقة .

وقال بليك :

- يا إلهي ـ لا أدري ـ لا بد انه كان متضايقاً . ولم يخطر ببالي انه قد على ما أقدم عليه .

.. دع هذا . لا تخف إني أستطيع مساعدتك على السفر .

ـ انها هذه الفتاة التي بعنزل سوان .. لويز

فتفرس الدكتور في وجهه دون أن يضايقه

وقال بليك :

. لقد قضيت معها الليلة بعض الوقت . وحدث بيننا أمر ما .

وقال الدكتور :

. معك أنت انك لم تقابلها لأول مرة إلا أمس .

ـ نعم ، ولكن ما حيلتي فيا حصل ، إنها كلفت بي منذ النظرة الأولى عندما وقع بصرها علي وتجاوبت معها

إني رقصت معها وفهمتها . وكان في استطاعتي بعد ذلك ان استحوذ عليها فخرجنا إلى الحديقة ، عندما كنت تلعب البريدج ، وقبلتها وكانت مشوقة إلى ذلك .

وكنت أنا في حالة متوثبة ،ولو طلبت مني أن القي بنفسي من هنا لما ترددت؟

ولما حضرت صباح اليوم مع جدها ، سألتها عما إذا كان ممكناً أن نلتقي .

فقالت لا .

فقلت لها ، ألا يمكن أن أن نتقابل بعـــد أن ينام الجميع ونستطيع الاستحمام في البركة .

فرفضت دون ان تملل الرفض .

فقلت لها ، أنا مشوق اليك جداً .. وهذا صحيح . إنها يا رب كانت كالكثري ـ وأخذتها إلى الحديقة وسرنا سوياً وقبلتها هناك .

ولكن نيقولا لم يتركنا إلا برهة ، وجاء فرأيت أن آخذها إلى المزرعة

بالليل ، فقالت إنها لن توافق على هذا . ولكنها كانت تواقة إلى ذلك مثلي . وكنت متأكداً إنها ستنتظرني إذا ذهبت .

وهذا مـا حصل ، فكم كانت جميلة هناك ، وكان شوقها إلي لا يقل عن شوقي اليها .. إنها من دم ولحم .

ثم انصت الطبيب إلى كل ما سمعه ، واستمر بليك يتحدث ، وطلبت مني أن انصرف ، فلبست ملابسي كلها عدا حذائي حتى لا أحدث صوتاً في الشرفة وتقدمت هي أولاً لترى أن الطريق ممهداً لأن جدها كان كثيراً مـا يصاب بالأرق ويخرج لاستنشاق الهواء .

وبعد ذلك خرجت إلى الشرفة وقفزت إلى الأرض . وبينما كنت ألبس حذائي ـ وعلى حين فجأة ـ تقدم مني شخص وأمسك برقبتي ورفعني إلى أعلا . وكان هذا الشخص هو أريك

انه كان في قوة الثور ، رفعني كأني جسـدي صغير ، وضغط على فمي فذهلت ، ولا أتمكن من الصراخ حتى لو حاولته وأطبق على حلقي حتى لقد ظننت انه يريد خنقي .

ثم فقدت الوعي بعد ذلك ، ولم أرَ وجهه وسمعته يتنفس ، وأحسست كأنه فعل بي شيئاً .

وفجأة ضربني بشدة على جانب رأسي ، فسقطت كقطعة من الخشب ، ووقف فوقي برهة ولم أحاول الانصراف لأني ظننت انه سيقتلني .. إذا حاولت أي حركة ، وبعد برهة استدار وانصرف مسرعاً جداً ، فدهشت وانصرفت إلى البيت .

ولم تعلم لويز بشيء مما حدث وترددت في الذهاب اليها وأخبارها .

ولكني لا أجرؤ لأني خشيت أن يفطن أحد إلي وانا ادق نافذة غرفتها ولا أريد ان ادخل الذعر عليها

ومشيت وفكرت في ان اعود البحث عنه .. ولكني ذعرت لأني لا اجده

أول الأمر .. وخشيت ان اراه ينتظرني على ظهر المركب عند عودتي ، وقد تنفست الصعداء عندما عدت إلى القارب ، وفي ذهني ان هذا الضخم قد سبقني واختبأ في المركب ليقتلني بسهولة دون ان اقدر على عمل شيء .. إني لا اسرع الخطى ولا ادع عيني تتلفت .. وظننت إني استطيع ان اواجهه .. إذا ما رأيته . إنه لا يمكنك مواجهة شخص قوي .

ولو إني استطيع ان اسبقه في العدو ، فان الأمر أمر سيطرة على الأعصاب . وبعد مسيرة ميل هدأ روعي وفكرت في انه يجب ان أراه ، مهما كلفني الأمر فلو ان الأمر يتعلق بشخص غيره ما فكرت في هذا .

فابتسم الطبيب ابتسامة أبانت عن اسنانه الصفراء التي تشبه الغوريللا وقال .

– يا لله ان هذا أمر محير ، لا يستطيع الانسان كيف يتصرف أزاءه ! ان انفصام الروابط الانسانية . لما يزري بالانسان !

– ولم لم يتكلم كما تفعل سائر الناس ؟

وقال لي الطبيب :

– استمر .. استمر .

وقال بليك وقد بدا عليه الألم والرعب :

– نعم وبعد ذلك – وجدت انه يجب أن أبحث الأمر معه .. وأردت ان اقص عليه القصة كلها وأخبره بأني أريد انتزاع هذه البقت .. انتزاعاً حيث لا مفر من ذلك ، وشعرت ان بالي لن يهدأ .. دقيقة إلا بعد أن اصارحه بكل هذا . وعندما دخلت منزله . وقفت برهة في الخارج .. لأستجمع شجاعتي ، فإن الأمر يتطلب ضبط الأعصاب . لأتمكن من الدخول ولكني وقفت مرة أخرى بالمدخل ، ثم جمعت شجاعتي ودخلت .. وقلت لنفسي انه قد يقتلني الآن إذا لم يقتلني قبل ذلك ،

وكنت أعلم انه لا يقفل الباب بالمفتاح .

وقد كاد قلبي يرتجف لما صرت في الدهليز ، كان الظلام دامساً ، وبعد ان أقفلت الباب ناديته فلم يرد وكنت أعرف موضع غرفته .. فتوجهت صوبها ووقفت ببابها ، ولم يتبين لي انه كان نائماً بها ، فناديت . اريك .. اريك .

وحاولت أن اصرخ غير ان حلقي كان جافاً ، وصوتي خشناً كصوت الببغاء وتحيرت لماذا لم يجاوب وخيل الي انه إنما ينتظرني في الداخل .. وكنت في حالة فزع شديد حتى فكرت في الخروج والهرب .

غير اني لم أفعل وأدرت المزلاج فانفتح الباب ولم أر شيئاً فصرخت وقلت :

بالله أجب على ندائي يا اريك .

وأشعلت ثقاباً وقفزت بسرعة وقد تملكني الخوف عندما رأيته راقداً على الأرض تحت قدمي ولو خطوت خطوة أخرى لتعثرت فيه فسقط الكبريت من يدي .. وقلت : ربما كان مغشياً عليه أو في حالة سكر شديد ..

وحاولت إشعال عود ثقاب آخر ، ولكنه لم يشتعل أولاً ، ولما أشعلته ثانياً صوبته نحوه ..

وأحضرت مصباحاً ونظرت إلى الأرض ، ثم ركعت وأمسكت باحدى يديه فوجدتها دافئة . ووجدت في الأخرى مسدساً .

فتحسست وجهه لأعرف إن كان ما يزال حياً ، ووجدت الدم يملأ الغرفة ..

رباه اني لم أر جرحاً فظيعاً كهذا ، وعدت مسرعا إلى هنا ، ولن انسى ما حييت هذا المنظر .

واصفر وجهه واخفاه بيديه وجعل يروح ويجيء في حالة بؤس وألم ؛

تارة يبكي وينتحب أخرى .

والقى بنفسه على المقعد واستمر نحيبه فتركه سوندرز وتناول سيجارة يدخنها .

وقال له :

- هل تركت المصباح مشتعلا ؟

فصاح فريد في فزع :

- أي مصباح ؟

- دعك من هذا الغباء ، ما أهمية ذلك ، الم يكن ممكنا ان ينتحر في الظلام او النور على السواء ؟ هذا كلام لا معنى له .

فقال فريد :

لا أدري لماذا أقدم أريك على هذا العمل ، لماذا يا إلهي أقدم على هذا العمل ؟

فقال ساندرز :

- انه كان خطيبا للويز .

فدهش بليك لقول ساندرز وتقلصت أسارير وجهه وبدا كأن عينيه قد برزتا من وجهه من فرط دهشته .. وأجاب :

- انه لم يخبرني مطلقا بذلك ؟

فرد ساندرز :

- ان هذا الأمر لا يخصك.

- إنها هي ايضا لم تخبرني ولم تنبس ببنت شفة في هذا الموضوع : وإلا لما كنت تعرضت لها على أية صورة من الصور .

فقال الطبيب :

- ان أريك هو الذي أخبرني بذلك شخصيا .

فأجاب بليك :

ـ أكان يحبها إلى هذا الحد ؟
فأجاب ساندرز .
ـ نعم !
فتمتم فريد :
إذاً فلماذا لم يقتلها او يقتلني .

فضحك الطبيب وقال :
ـ ان هذا لأمر عجيب !
ـ استحلفك بالله يا دكتور ألا تضحك .. اني يائس .. إني أعتقد ان ما حصل لي من الشقاء ليس بعده زيادة لمستزيد .. ولو كنت عرفت ذلك لما وقفت موقفاً خاطئاً معها ..
لقد كان أريك أحسن الناس الذين يصادفهم الانسان في حياته ، إني لم أكن أريد اساءته لأي سبب مها عظم ، إني أصبحت في نظره حيواناً بيتا كان هو في منتهى الكرم معي .
وفاضت عين بليك بالدمع ، وجعل ينتحب بحرارة ويقول :

« أليست الحياة كلها الغدر والخيانة ، ان الانسان قبل ان يشرع في عمل يجب ان يراجع نفسه مرة ومرة . اعتقد ان اللعنة حاقت بي .

ونظر إلى الطبيب بعين تملكها الحزن العميق ، وفم يرتجف كمن أصابته رعدة الحمى .
وقال له :
ـ على كل حال سوف تتغلب على هذا الموقف ، يا بليك .

ـ ليتني مت قبل هذا . لقد قال لي والدي مرة انك لست طبيعياً ، ألا تذكر البرقية التي وصلتني صباح هذا اليوم ، ان فيها ما يثير الدهشة وما لم استطع فهمه ، ان خطاباً ينتظرني في باتافيا ، وقد حان الوقت لتذهب إلى هناك ، البرقية تقول انني مت بالحمى القرمزية في المستشفى خارج سيدني .

ثم فهمت بعد ذلك معنى البرقية

— ماذا فعلت ؟

— لقد قتلت شخصاً .

وقال الطبيب :

— أنا لو كنت مكانك ما صرحت بهذا .

— أنت تأخذ الأمور ببساطة . هل سبق لك أن قتلت أحداً ؟

— بسبب المهنة فقط .

— أنت رجل عجيب الأطوار يا دكتور — انك لا تصدق أي شيء ولا تعني بأي شيء تمسه — أليس هناك أي شيء يزعجك — أليست لك عقيدة في أي شيء .

فقال الطبيب

— ولماذا قتلته ، أمن باب المزاح ؟

فقال بليك :

إني لا انسى ما حصل أبداً ، فأحياناً كنت أشعر بالمسرة والمتعة وأمضي وقتاً طيباً — ولكني ما ألبث ان تعود بي الذكرى .

فكنت أخشى ان انام ، وكثيراً ما كنت أشعر بأنه قبض علي وسأرسل للمشنقة ، وكثيراً ما كنت أحاول القاء نفسي في البحر فأغرق وأكون طعاماً للقرش ولو علمت ما شعرت به من الراحة حين وصلتني هـــذه البرقية وفهمت معناها .

شكراً لله فإنهـــا خلصتني من العبء الثقيل الذي كنت أحمله ، لقد أصبحت آمناً فإني ما شعرت بالأمان طول رحلتي على السفينة ، وكلما رست بنا السفينة في مكان ، كنت اعتقد ان شخصاً قد يقبض علي .

وفي المدة الأولى التي رأيتك فيها ، جال في ذهني انك مخبر تقتفي أثري . فهل عرفت فيم فكرت هذا الصباح ، قلت الآن استطيع ان انام ملء جفوني

ألم أقل لي ان اللعنة حلت بي .

ـ دعك من هذا الكلام الفارغ .

ـ ماذا أفعل إلى أين أذهب في تلك الليلة عندما تقابلت ولويز ؟

قلت لماذا لا أتزوجها واستقر هنا في هذه الجزيرة ، وهذه السفينة ستصبح مفيدة ويمكن انيقولا ان يعود على احدى السفن التي ستسافر عليها ، وانه يمكنك الحصول على خطابي الذي في باتافيا ، واعتقد ان في الخطاب نقوداً ، لأن أمي لا بد أن تكون قد كلفته بارسالها إلي ولأريك . انتمكن من المساهمة في أي عمل .

فقال الدكتور :

ـ انك لا تستطيع ذلك ، ولكنك تستطيع ان تتزوج من لويز

ـ انا اتزوجها بعد الذي حصل ؟ أنا لا أطيق النظر اليها ، وأطلب من الله ان لا يريني وجهها ثانية ـ أنا لا اسامحها أبداً أبداً

ـ وماذا تريد أن تفعل إذن ؟

الله يعلم ، أنا لا استطيع العودة إلى الوطن ، فإني قدمت ودفنت في مقبرة العائلة .

أنا لا أريد العودة إلى سيدني ، إلى شارع جورج ، وإلى خليج مانلي فلم يعد لي أحد في هذا العالم الآن

أنا محاسب جيد كما اعتقد ، ويمكنني ان اشتغل في أحد المخازن ، لا أدري أين أذهب إني اصبحت كالكلب الضال .

ـ لو كنت مكانك لذهبت فوراً إلى الفونتون ، ثم استغرقت في النوم ، وفي الصباح استسلم إلى التفكير الهادىء المتزن !

ـ لا استطيع العودة إلى القارب . إني أكرهه فلو علمت كم مرة افزع فيها من النوم ، والعرق يبلل جسمي كله ، ودقات قلبي تتزايد عندما يفتح أحد من الناس غرفتي ، وكنت أعتقد ان جبل

المشنقة ينتظرني ، والآن فإن أريك راقـــد هناك ، وقد شق نصف رأسه ، يا رب كيف استطيع النوم ؟

فقال له الدكتور :

حسنا — استرح على هذا الكرسي ، إلى ذاهب للنوم .

— هل تتضايق إذا ما دخنت ؟

ـ سأعطيك شيئاً بسيطاً ، إذ لا داعي لأن تظل هكذا يقظاً .

وحقنه الدكتور بالمورفين ، وأطفأ المصباح ودخل إلى مخدعه .

- ٢٥ -

اكتشاف الجريمة

استيقظ الدكتور وبعد ان استحم ايقظ بليك وقال له :
— تعال أيها الفتى الصغير . ان آه كاي ذهب لاعداد الفطور .

ففتح بليك عينيه كي يستقبل يوماً جديداً ، ولكن بعد ان نظر حوله تذكر أشياء كثيرة وامتقع وجهه فجأة .
وقال له الدكتور :
— قم واغتسل .

وبعد تناول الافطار لاحظ الدكتور ان بليك أكل بشهية ، ولم يتكلم وقد هنأه الطبيب سوندرز لأنه بعد ليلة صفاء هادئة ، شعر بمثل تلك الراحة وكانت أفكاره عن الحياة قاسية ، وفضل الاحتفاظ بها لنفسه .

وبعد الافطار حضر لهم مدير الفندق وقدم نفسه للدكتور سوندرز في لغة هولندية فصيحة . وعلم ان الدكتور لم يفهمه — ولكنه تحدث . على أي حال بابتسامة الأسف لعدم استطاعته ان يكون مفهوماً كما يجب .

فهز سوندرز كتفيه لأنه لم يفهم شيئاً ممـــا سمعه — ثم انصرف الرجل الهولندي مقطب الجبين .
وقال سوندرز :
— يبدو انهم قد اكتشفوا الحادثة .

— كيف ؟

ـ لا أعرف واعتقد ان الخادم الصغير ذهب ليحضر له الشاي .

ـ ألا يوجد هنا من يستطيع الترجمة ؟

وقال سوندرز :

— سنسمع كلاماً كثيراً — ولكن لا تنس اننا لا نعرف أي شيء عن الموضوع .

ثم أخلدا إلى السكون ..

وبعد قليل عاد مدير الفندق ومعه ضابط هولندي وقال كلاماً غير مفهوم وكان يتكلم الانجليزية بلهجة قوية ..

فقال :

— آسف لأخبركم ان شاباً داعر كياً قد أطلق النار على نفسه ، واسمه كريستين .

فصاح الطبيب قائلاً :

— كريستين ، هذا الشخص الطويل .

واختلس النظر إلى فريد ..

واستمر الضابط يقول :

— إن خدمه اكتشفوا ذلك منذ ساعة . وقد كلفت بعمل التحقيق .. وليس هناك من شك في ان الحادثة حادثة انتحار .. وقد اخبرني مستر فان رايك مدير الفندق إنه كان في الليلة الماضية في زيارتكم .

— هذا صحيح ..

فسأل الضابط :

ـ كم بقي هنا ؟

فأجاب الطبيب :

- عشر دقائق أو ربع ساعة .

فسأل الضابط :

— هل كان قلقاً ؟

فرد الطبيب :

— تماماً ، انا لم أره في حالة سكر ؟ ولم يذكر ما يدل على انه كان في عزمه أن يحدث في نفسه حدثاً ؟

— قد كان عاديا في حالة مرح ، وأنا لا أعرفه جيداً لأني وصلت هنا منذ ٣ أيام - وأنا منتظر الباخرة « الأميرة جوليا » .

فقال الضابط :

— نعم اعرف ذلك ، إذاً ليس لديك اي إيضاح للمأساة ؟

فرد الطبيب :

- ليس لدي ما أقوله في هذا الشأن .

فقال الضابط

— هذا كل ما اردت معرفته ، ولا أريد منكم غير هذا ! هل عندكم ما يمنع من الذهاب إلى مكتبي .

ثم نظر إلى فريد وسأل :

هذا السيد ألا يستطيع أن يخبرنا بشيء ؟

فأجاب الطبيب .

لا شيء . إنه لم يكن هنا وقد كنت العب الورق مع الكابتن الآن في السفينة .

فقال الضابط :

— أنا آسف لهذا الشاب البائس ، لقد كان هادئاً جـداً ، ولم يسبب لأحد أية متاعب ويحبه الناس جميعاً : وأخشى أن يكون السبب هو ما يحصل عادة في مثل هذه الاحوال ، شخص يعيش بمفرده في مكان منعزل

كهذا .. مرارة قاتلة ، لأنه لا يجد من يسليه ، ينتهي الأمر بـــأن يطلق الرصاص على نفسه على هذه الصورة ، وقد حصلت حوادث مماثلة ، والأفضل في مثل هذه الظروف ان يبحث الانسان عن فتاة يعيش معهـــا .. ولن يتسبب عن هذا أية زيادة تذكر في المصروفات ، انا شاكر لكما ولن آخذ من وقتكما اكثر من هذا ، وأظن انكما لم تزورا « جنرال شانت » إلى الآن .. يسرنا ان تراكما هناك ، إنكما ستريان هناك ، ما بين السادسة والثامنة جميع الشخصيات التي في الجزيرة ، انه مكان اجتماعي أسعد الله صباحكم .

وسلم على الطبيب وقريبه وانصرف

- ٢٦ -

بعد الدفن ..

في هذه البلاد التي تشتد حرارتهـا ، لا يسمح بمرور وقت طويل بين ساعة الموت وانتهاء مراسم الدفن .. ولكن في حالة مثل هذه ، كان لا بد من إجراءات استدعاها التحقيق .

وعلى هذا فقد تمت إجراءات الدفن قبيل المساء ، وشيع الجنازة بعض أصدقاء أريك الهولنديين .. فرث والدكتور سوندرز وفريد بليك والقبطان نيقولا . وقد كان هذا الحادث مؤلماً للقبطان . فاقـترض بذلة سوداء ، من أحد أصدقائه في الجزيرة ، وتمت مراسم الجنازة باللغة الهولندية التي لم يفهمها نيقولا ، ولم يمكنه الاشتراك في طقوسها . ولكنه كان متأثراً . وبعد انتهائها سلم على القس الهولنـدي ، والرسميين الهولنـديين ، الذين كانوا حاضرين كما لو كانوا قدموا له خدمة شخصية ، حتى أنهم ظنوا أنه من أقارب أريك .

أما فيد فإنه جعل يبكي ، وقد انخرط البريطانيون الأربعة في البكاء وعرض عليهم القبطان نيقولا أن يذهبوا إلى القارب فانتوس ليشربوا معه شراب النبيذ البرتغالي ، لأنـه عثر من باب المصادفة ، على زجاجة منه وقال

ـ أرى ان هذا الشراب أنسب الموقف بعد الجنازة لأنه ليس مثل البيرة

أو الويسكي فإنه يشعر الشارب بحدية الموقف .

فأجاب فرث :

- إني لم أفكر فيه أبداً لكني أفهم ما تعنيه .

أما فريد فرد :

- أنا غير ذاهب ، فإني محزون لهذه الحالة .. هل أنصرف معك يا دكتور ؟

فأجاب الطبيب :

- إن أردت .

وقال نيقولا :

- إننا جميعاً متألمون للحادث ولهذا اقترحت أن نشرب البيرة لأنها لا تصرف الألم وليس فيها أي دلالة .

فرد فريد :

- إذهب إلى جهنم .

فأجاب نيقولا .

- إذاً تعال أنت يا فرث انك أنت الرجل الذي ستذهب معي لنشرب زجاجة من النبيذ دون ان نجهد أنفسنا .

فرد فرث :

- نحن نعيش في زمن متدهور . وقد أصبحت البيرة نادرة مثل طائر الدولو .

ثم ركبوا القارب إلى الفينتون .

وسار الطبيب وفريد بخطوات بطيئة إلى أن وصلا إلى الفندق .

قال فريد :

- لتذهب إلى غرفتك .

ثم ملأ الطبيب كأساً من الويسكي والصودا ، وقدمه إلى فريد

الذي قال

— سنسافر في الفجر

أجاب الطبيب :

— هل رأيت لويز ؟

فأجاب :

— لا ولا أريد رؤيتها .

فهز الطبيب كتفيه لأن المسألة لا تخيفه ولا تخصه .

واستمرا برهة يشربان ويدخنان في صمت .

ثم قال فريد :

— لقد أخبرتك بالكثير مما قاله أريك والآن سأحدثك بالباقي .

فقال الطبيب :

— هذا لا يهمني .

قال فريد :

- إني محتاج جداً لأن أخبر ما حصل لأحد . في بعض الأحيان كنت أحاول عدم ذكر شيء لنيقولا ، الحمد لله ، لأني لم أكن غبياً إلى هذا الحد لأنها ستكون فرصة لتهديدي . إنه ليس ذلك الرجل الذي تلقي اليه بأسرارك .

ثم بدت من فريد ضحكة ساخرة وقال :

— إنها ليست حماقتي في الواقع ، انه الحظ السيء .. انه لمؤلم ان يفقد الانسان حياته ومستقبله بسبب أمر مثل هذا ، انه أمر غير معقول .. ان عائلتي في مركز جيد ، لقد كنت في أحسن متجر من أحسن المتاجر في سيدني ، وكان والدي يريد ان يشتري لي أسهماً فيه .. إنه كان عظيم النفوذ وفي إمكانه ان يخلق لي أي عمل ، وكان في استطاعتي ان أصبح من الأثرياء ، أستطيع بعدها ، ان عاجلاً أو آجلاً ان أستقر وأتزوج ،

وكنت آمل ان أشتغل بالسياسة ، كما فعل أبي ، وكانت الفرصة أمامي أكثر من أي إنسان آخر ولكن أنظر الى حالتي الآن ، لا أمل . لا حياة ، لا اسم ليس لدي ما يقرب من مائتي دولار وما قد يكون أبي أرسله الي في باتافيا وليس لي من صديق في هذا العالم .

فأجاب الطبيب

ـ إن لك شباباً وتعليماً وشكلاً وجيهاً .

ـ هذا ما يضحكني فلو كنت أحول او أحدب لكنت أفضل مما أنا فيه الآن ولكنت الآن في سيدني .

ـ انك يا دكتور لست جميلاً .

ـ أنا أعرف كل هذه الحقائق وأسلم بها .

ـ أتسلم به ؟. إذاً ، يجب ان تحمد الله على ظروفك الحسنة في كل يوم ..

فابتسم الطبيب وقال :

أنا لا أريد ان أذهب الى هذا المدى .

ولكن فريد كان في حالة يأس وقنوط فقال :

ـ أنا لا أريدك ان تظن اني خدعت لأن الله يعلم انه ليس لدي ما يحملني كذلك ، وأتيحت لي الفرص .

ـ كانت أمامك كل هذه الفرص ؟!

اني لم أحد عن الطريق السوي في سبيل الفتيات ، رغم ترامیهن تحت أقدامي ..

ـ ألأنت وحيد ابويك ؟!

ـ لا ، ان لي أخاً يعمل مع ابي وقد تزوج ، ولي اخت متزوجة . وأذكر انه في يوم من الأيام حضر عندنا أحد الزائرين ومعه زوجته لقضاء يوم في منزلنا واسمه هدسن ، وكان ينتمي الى الجنس الروماني الكاثوليكي ونفوذه

كبير مع الارلنديين والايطاليين . وكان ابي يقول انه كان بامكانه ان يرجح كفة الانتخابات ، وطلب من امي ان تبالغ في تكريمها .. فحضروا العشاء وحضر رئيس الوزراء مع زوجته ، وقدمت لهم امي طعاماً كثيراً جداً ، يكفي كتيبة من الجيش وبعد العشـــاء اخذه ابي الى مكتبه ، وذهب الباقون الى الحديقة ، ورغبت ان اخرج لصيـد السمك ، ولكن والدي طلب مني البقاء مع الضيوف ، وكانت امي ومسز داك دارنس كزميلتين في المدرسة .

فـقال الطبيب :

– ومن هي مسز دارنس ؟

فأجاب :

– انها زوجة رئيس الوزراء وهو اهم شخصية في استراليا .

– آسف لأني لم اعرف .

– لقد تحدثنا طويلاً وتطرقنا مع مسز هدسن واخيراً طلبت مني امي ان اريها الحديقة فأخذتها اليها وكان اول ما قالته لي :

– ارجوك ان تعطيني سيجارة .

ثم القت نظرة علي عندما كنت اشعلها لها ، وقالت :

– انك ولد جميل الشكل .

– اترين ذلك ؟

– يظهر انك سمعت ذلك من قبل

– من امي فقط !!

وقلت ربما كانت سائتها هذه الكلمة .. وسألتني عما اذا كنت مولعـــاً بالرقص ، فقلت لها

– نعم .

فقالت

ــ اننا سنتناول الشاي في الأوستراليا في اليوم التالي .

ثم طلبت مني اذا كنت أستطيع الذهاب بعد العمل لأراقصها ولكني لم أكن تواقاً لذلك ، فقلت لها

ــ اني لا استطيع .

قالت .

ــ ما قولك في يوم الثلاثاء أو الأربعاء ؟!

فلم أستطع ان أقول اني مشغول في اليومين .. فقلت لها :

ــ إن يوم الثلاثاء يتناسب معي .

وبعد انصرافها ، قلت لوالدي ما حدث ، فلم ترحب أمي بذلك ولكن أبي وافق ، وقال لأمي

ــ ليس من الخير ان تحولي بينه وبين ما يريد .

وقالت امي :

ــ إن نظرات هذه السيدة لم تعجبها .

ولكن ابي قال لها :

ــ لا تكوني غبية ، إنها سيدة في مثل عمرك .

ثم سأل :

ــ ما عمرها ؟

فقالت :

ــ إنها لم تتعد الأربعين وكانت لا تبدو جميلة . بل كانت نحيفة مثل العصا طويلة وبشرتها سمراء كلون الجلد وشعرها مهمل ، وجملة القول انها لم تتزين كما يجب قبل زيارتها لمنزلنا

وأخيراً ذهبت اليها في الموعد المضروب ، ثم أديت رقصة وجدت فيها متعة لم أتوقعها وكانت تتكلم كثيراً عن نفسها . وبعد الانتهاء من الرقصة طلبت مني الذهاب معها إلى السينما ، حيث كان زوجها في اجتماع ، فوافقت .

واتفقنا على الموعد . وفي السينما أمسكت بيدها وقلت في نفسي :

ـ ان هذا قد يسرها ولا يضيرني ..

وبعد ذلك طلبت مني ان نتمشى سوياً بعض الوقت . والى تلك اللحظة كانت تعاملني كمجرد صديق ، ولا تسألني عن عملي وطلبت أن تعرف كل شيء عن منزلنا وتحدثنا عن السباق . وقلت لها :

ـ إن أحب شيء لي ان أشترك في سباق طويل ..

وكانت لا تبدو غير جميلة أثناء الحديث فقبلتها وكان ذلك مني ضرباً من المجاملة لا أكثر ولا أقل وقلت في نفسي :

ـ إن الأمر قد انتهى عند ذلك .

غير أنها تعلقت بي وقالت :

ـ إني وقعت في حبك عندما رأيتك أول مرة .

واقسم انها كانت مثيرة ، وبدأت تطاردني في جرأة وقالت :

ـ أنا لا يهمني أي شيء ، واذا دعا الأمر فلن أتأخر عن مصاحبتك الى أي مكان .

ولاح لي أنها تعني ما تقول ولا تأبه بما ستتعرض له من أخطار . ثم أدارت قرص التليفون تطلب من امي في إلحاح ان تأذن لي بالعشاء معها لأكون الشخص الرابع على مائدة البريدج .

وبدأت تضايقني وشعرت ان نفسي لم تعد ملكاً لي ، فإذا كنا في مكان ونظرت الى فتاة فإنها تسألني عنها ولماذا أنظر اليها ؟ هل سبق لي التعرف عليها ؟ هل أحببتها يوماً ؟ واذا أجبتها بالنفي راحت تكيل لي اللوم والتقريع وتردد على مسمعي :

انك كاذب .. انك كاذب

ورأيت انه ليس من السهل علي التخلص منها بسرعة ، لأن لنا حاجة عندها ، فقد كان باستطاعتها ان تحول بين ابي وبين هدسن وبذلك لا يفوز

في الانتخابات .

وحاولت الهروب من مطاردتها ، بحجة اني مشغول بالمكتب والعمل ، ولا أستطيع مغادرة المنزل ، تفادياً من الخروج معها وانهاء لهذه العلاقة التي أخشى ان يتسرب الاثم اليها واختلقت شتى المعاذير كي اخلص نفسي منها برغم الحاجة الى معونتها

ولما فوت عليها غرضها المعوج ، وما ترمي اليه من سلوك شائن ، تهددتني بالويل والثبور وعظائم الأمور ، في غير مبالاة ، ودون حرج وأخذت تتنمر وتثأر لكرامتها .

ثم تملكها الغيظ الشديد ، فألقت علي كثيراً من السباب والشتائم ، واندفعت نحوي . فأمسكت بيديها حتى لا تفقأ عيني ، وصارت مثل المجنونة تماماً .

وأخيراً قالت انها ستنتحر ، وحاولت الهرب من المنزل . فظننت انها قد تلقي نفسها على أعلى الصخرة او ما اشبه واعدتها للمنزل بالقوة فرفستني وقاومتني ثم ركعت تحت قدمي وجعلت تقبل يدي وهي تبكي وتنتحب .. فانتهزت الفرصة وهربت .

وما ان وصلت الى البيت حتى طلبتني بالتلفون ، فلم أرد عليها ، وظلت تدق عدة مرات ، ولحسن الحظ كانت امي خارج المنزل وانا لم اجاوب . ولما وصلت مكتبي في اليوم الثاني وجدت به خطاباً من عشر صفحات . لا شك انك ستعرف ماذا سيكون فيه ، فلم اعره التفاتاً ولم يكن في نيتي طبعاً ان ارد عليه ..

وعند خروجي للغداء في الساعة الواحدة وجدتها تنتظرني في مدخل الباب الخارجي ولكني مشيت بأسرع ما استطيع دون ان التفت اليها حتى تهت في الزحام وفكرت في انها ربما تنتظر عودتي. فسرت مع احد زملائي في المكتب كان يتناول طعامه في نفس المطعم الذي آكل فيه ، ورأيتها هناك ولكني

تظاهرت بأني لم ارها ، وكانت تخشى ان تكلمني ، ثم وجدت زميلا آخر خرجت معه بعد الأكل .

وكانت ما تزال هناك واعتقـــد انها انتظرت طول اليوم ، حتى لا اهرب منها .. فهل تعلم انها اتت الي عنوة ، وفي حالة ادب . وتحشم بين ثم قالت :

— كيف انت يا فريد ؟ انها فرصة طيبة ان اقابلك ، ان معي خطاباً لوالدك .

وانصرف زميلي دون ان اتمكن من مرافقته ووقعت انا في الفخ .

ماذا تريدين ؟

— كنت في لهيب من الرغبة الى لقياك .

— بالله لا تكلميني بهذه الطريقة ، إرحميني انا غير سعيـد ، لا تستقيم لي الرؤية .

- آسفـة . ولكني لا استطيـع غـير ذلك ، هذا الذي افعـله ، هو بالرغم مني ..

وجعلت تصيح ، ولولا مرور الناس ، في الطريق هنا وهناك لكنت قتلتهـا ..

— فريد . هذا امر غير لائق ان تلقي بي في سلة المهملات . انك لي كل شيء في العالم .

— لا تكوني بلهاء انت امرأة عجوز ، اما انا فلا ازال فتى صغيراً ، ويجب ان تخجلي من نفسك .

— وما يعني هذا .. انا احبك من كل قلبي .

— ولكني لا احبك ، اتركيني وشأني انا لا احتمل النظر اليك .

— اليس هناك ما اعمله لكي تحبني ؟

— لا شيء .. لقد ضقت بك ذرعاً .

- سأقتل نفسي ، إذاً !
- هذا من شأنك .

وانصرفت مسرعاً كيلا تصدني عن الطريق بالانتحار .. ولكنها لم تكن كسائر الناس ، فانها في الحقيقة إمرأة مجنونة ، تستطيع عمل أي شيء ، فكان يمكن أن تأتي إلى منزلنا وتطلق النار على نفسها - او تتناول سماً وتترك خطاباً مزعجاً بعد ذلك وتتهمني بأي تهمة ، وأنت تعرف طبعاً ان الأمر لم يكن يخصني وحدي ، بل ان الأمر كان يتعلق بوالدي أيضاً ، فلو اني اتهمت في شيء لسبب له ذلك ضرراً خصوصاً في هذه الآونة ، وهو ليس من الرجال الذين يمكن التخلص منهم بسهولة ، إذا أنت اخطأت ، اني لم أنم طوال تلك الليلة إلا قليلا آل بي الفكر إلى المرض وكم كان يغيظني أن أراها تروح وتجيء في الشارع قرب المكتب صباحاً ، ولكني على أي حال تخلصت منها - فلم تذهب أخيراً ولم تترك لي خطاباً .. وبدأت أشعر بالراحة ، قليلا وكنت مشغولا بعملي ، وعندما ظهرت جرائد المساء ألقيت عليها نظرة .

وكان مستر هدسن رجلا مرموقاً ولو حصل لها شيء ، فان ذلك سيكون موضع القيل والقال ، ولكني لم أجد في الصحف شيئاً ، ثم كفت عن دق التليفون ، وإرسال خطابات لمدة يومين ، فظننت اني قد انتهيت منها ، وان الأمر على ما يرام ، وقلت شكراً لك يا إلهي ، ولكني تلقيت الدرس ، وصممت أن أكون حريصا جداً في المستقبل ، وألا أختلط بأي إمرأة متوسطة العمر ، فقد اصبحت عصبيا ومجهداً ، ولا تسل كيف كانت نجاتي منها ولا أريد أن أتكلف في المستقبل أي مظهر من المظاهر ، ولكن ما عندي هو نوع من اللباقة والظرف .

ولم يجب دكتور سوندرز على ما سمع وفهم جيداً ما يقصده الفتى - إن عدم الاكتراث والتهور مع غرور الشباب في محاولته بأخذ نصيبه منها حيث يجدها .. ولكن الشباب ليس ذلك فقط انه القناعة وعدم ترك العنان لرغباته

الشهوانية مع كل إمرأة من هذا الطراز .

وبعد عشرة أيام أخرى وصلني منها خطاب ، كتبت عنوانه بالآلة الكاتبة وإلا لما فتحته ، ولكنه كان معقولاً ، وبدأ هكذا :

عزيزي فريد — تقول إنها تأسف في انه يحصل منها مثل ما حصل ، وإنها كانت ولا بد مخبولة ، ولكن كان لا بد أن يمضي وقت تهدأ فيه لا ترغب أن تكون مقلقة لي ، وأن ما حصل كان نتيجة حالتها العصبية - والآن أصبح كل شيء على ما يرام ، وانها لا تشعر لي أي سوء واني يجب ألا الومها فقد كان دوري فيا حصل هو سلطان جمالي ، وقالت انها مسافرة إلى نيوزيلنده في اليوم التالي ، لمدة ثلاثة أشهر ، لأن الطبيب نصحها بعمل تغيير كلي وقالت ان زوجها مسافر الليلة إلى نيو كاسل ، وطلبت مني أن أذهب اليها لمدة قصيرة لأودعها ووعدتني بشرفها أنها لن تسبب لي أي متاعب كما حدث في الماضي.. وإن كل هذا قد مضى وانقضى ، وعلى كل حال فان ما نتج عنه كان غير صالح .. وتأمل مني أن اذهب اليها وعلى كل حال تحب أن تتجنب أي متاعب أخرى بالنسبة لها ، وكنت عالما ان هدسن سيسافر حقا إلى نيوكاسل . لأن والدي ذكر لي شيئا عن ذلك وقت الافطار ، هذا الصباح ، وكان الخطاب طبيعيا ، وكان خطها أحيانا غير ظاهر بحيث يصعب قراءته ، ولكنها عندما تريد التأكيد في الكتابة كانت تهز الجملة بوضوح .

ولاحظت انها لما كتبت هذا كانت هادئة الأعصاب وكنت تواقا لمعرفة ما ستقوله ، وقالت لي ان ذهابي اليها سيسرها كثيراً ، فاتصلت بها تليفونيا وأخبرتها اني سأزورها في الثامنة وكان صوتها في التليفون عاديا كأنه لا يهمها حضوري أو عدمه . ولما وصلت سلمت علي بيدها كأننا كنا أصدقاء وسألتني عما إذا كنت أحب أن أشرب الشاي فقلت :

— اني شربته قبل ان أحضر .

وقالت : إنها لن تستبقي كثيراً — لأنها ذاهبة الى السينما ، ثم بدأت تتكلم

عن رحلتها وانها تعرف نيوزيلندا جيداً وجعلت تتكلم في هذا الموضوع فقلت لها انني لم أزرها مطلقا . يقولون انها جيدة ، وقالت لي انها ستقيم هناك مع بعض أصدقائها فضحكت عندئذ وكانت تبدو طريفة في كلامهـــا وهي في جلستها مسلية عندما تكون هادئة ، ويجب أن اعترف انني لم أشعر بمرور الوقت ، فقد كانت في مثل حالتها عندما قابلتها أول مرة ..

ثم نهضت وقالت إنها تفضل الانصراف الآن ، ويبدو انني لم أمكث اكثر من نصف ساعة أو ثلاثة أرباع ساعة . ومدت يدها إلي وكانت نصف ضاحكة وقالت ربما لا يضيرك ان تقبلني ، قبلة الوداع ، اليس كذلك ؟

قالت ذلك في شوق ، فضحكت فقلت لها أبداً ليس هناك مانع من هذا ثم انحنيت وقبلتها والحقيقة انها هي التي قبلتني ، ثم لفت يديها حول عنقي ، وعندما حاولت الافلات منهـــا لم تدعني والتصقت بي كورقـــة العنب ، وطلبت الالتقاء بي مرة أخرى قبل سفرها ، فذكرتها بوعدها .. فقـــالت لي انها لن تفعل ذلك ولكنها لا تتمالك نفسها عندما تقابلني وقد أقسمت أن يكون هذا اللقاء هو الأخير !

وحدث أثناء وجودي بالمنزل أن فاجأنا هدسن ونحن في حالة تخدش الحياء ولم أستطع عمل شيء . ودار صراع بيننـــا وكنت أحمي وجهي بذراعي وخطر لي فجأة انه ربما يحاول قتلي . فارتعدت لذلك وبعد جهد عنيف أفلت منـه ولكنه هاجمني ثانيـا ، وأوقعني على الأرض بسرعـة البرق . وشعرت بأن قوتي قد انهارت ووضع ركبته على رقبتي فوق القصبة الهوائية ، وكدت اختنق وحاولت الاستغاثة ، ولم أستطع وفجأة وجدت مسدساً وضع في يدي ، وأقسم لك إني لم أدر مـــاذا كنت أفعل فقد وقع مـا وقع في ثوان . ثم مددت ذراعي وأطلقت عليه النار ، فصدرت منه صيحة وتراجع إلى الوراء فأطلقت النار مرة أخرى فصاح ثانية . ووقع بعيداً عني على الأرض عند ذلك خرجت مسرعاً وكنت

أرتعد كورقة الشجرة . وأقفـــل فريد عينيه وأرتمى على المقعد حتى ظن الدكتور سوندرز انه أغمي عليه ، وشحب لونه وتساقط العرق بشدة من جبينه وتنفس نفساً طويلاً .

وقال إني كنت في حالة عـدم انتباه ، ورأيت فلوري راكعـة وكانت محتاطة حتى لا تدع الدم يمس ملابسها . وأحست نبضه وأغمضت جفنيه .

ثم قامت وقالت :

— أظن ان كل شيء انتهى على ما يرام وانه قد مات وألقت علي نظرة غريبة عجيبة . لم يكن مناسباً أن تقضي عليه بسرعة .

وقد امتلأت رعباً مما حصل . ووجدت انه لا داعي لبقائي هناك . ولم ير أحد ما حصل .

وقلت لها :

— لقد ظننت انه في نيوكاسل . فقالت

— انه لم يذهب فقد تلقى رسالة تليفونية ، فقلت لها أي رسالة تقصدين ؟ لم أكن أعرف ماذا تعني وقلت .

— من أرسلها هل كنت تعلمين أن هذه الرسالة غير صحيحة .

— نعم . لماذا ؟ عند ذلك نظرت إلي نظرة خاطفة ، وقالت هل تعني ان المسألة كانت مدبرة . لا تكن غبياً . ان مـا يجب عليك عمله الآن . هو التخلص من تبعية ما وقع . اذهب إلى منزلك . وتناول عشاءك مع عائلتك . بهدوء . وأنا ذاهبة إلى السينما كما قلت لك ، فقلت لها انك غريبة ، فقالت لا لست كذلك أنا أعرف ما أفعل عليك أن تتصرف كأن شيئاً لم يقع ، ودع كل شيء لي ، ولا تنس انك ستشنق إذا ظهرت حقيقة الأمور ، ثم ضحكت مـا أعجب أعصاب هؤلاء النساء ، وقالت ليس هناك مـا تخاف منه . أنا لا أمكن أحـداً من أن يمسك بسوء أنت ملكي . وأنا أدري كيف أحـافظ عليك إني أحبك وأريدك وبعـد أن ينتهي كل شيء وينسى سنتزوج .

كيف تفكر بمثل هذه الحماقة ، وتظن انك تستطيع أن تفلت من يدي .

وقال فريد :

ـ واقسم لك إني شعرت أن الدم تجمد في عروقي ، فقد اصبحت في فخ لا يمكن الخروج منه فنظرت اليها ولم يكن لدي مـا أقوله . أنا لا أنسى تلك النظرة التي كانت في وجهها . وفجأة نظرت إلى لباسي الداخلي ولم أكن ألبس غيره . وقالت أوه أنظر ووجدت نقطاً من الدم عليه وحاولت أن ألمسها . ولكنها أسرعت إلى الأمساك بيدي ولا أدري لماذا . وقالت : لا تفعل ذلك انتظر قليلاً واحضرت ورقة جريدة لتمسحها ، وقالت طأطيء من رأسك سأنظفها . ثم طأطأت من رأسي وجعلت هي تدلكها . وقالت هل من بقع دم أخرى من حسن الحظ انك لم تكن تلبس البنطلون . ولبست البنطلون وأخذت هي الصديري ، وقالت سأحرقه وأحرق الجريـدة . في المطبخ . فاليوم يوم الغسيل عندي . ونظرت إلى هدسن وكان قد مات ، وكان يؤلمني جداً أن انظر اليه ، وكانت على البساط بركة كبيرة من الدم . وقالت هل انت جاهز . قلت نعم . وسبقتني إلى الباب وقبل فتحه عانقتني وقبلتني كأنها تريد أن تأكلني حباً . وقالت :

ـ حبيبي حبيبي يا حبيبي وفتحت الباب وخرجت وكان الظلام حالكاً وكنت كأني أمشي في حلم ، وأسرعت الخطى في الواقع وحاولت جهدي الا اجري وخبأت وجهي قبعتي قدر المستطاع ، ورفعت ياقة جاكتتي حتى لا يلاحظني أحد ممن مررت بهم . ومشيت طويلاً بغير هدف .

ودخلت منزلنا . وكنت في منتهى الرعب وهنا قال الدكتور :

تمهل قليلاً . لقـد ذكرت لي انك وجدت مسدساً في يدك . فما معنى هذا ؟

ـ ان فلوري هي التي دسته في يدي .

وكيف حصلت عليه .

ـ لا أعرف . ربما أخذته من جيب بات لما كان جاثماً فوقي . أو من مكان آخر . أنا أطلقت النار دفاعاً عن نفسي .

وقال الدكتور :

ـ أكل .

وفجأة قالت أمي :

ـ هل حصل شيء . قالت هذا على غير انتظار وبهدوء وحاولت السيطرة على اعصابي ، ولكني لا أستطع فانفجرت باكياً فصاح أبي :

ـ ما الخبر ؟ عند ذلك أحاطتني أمي بذراعيها ، وجعلت تخاطبني كطفل صغير . وألحت عليّ في السؤال وامتنعت عن الكلام أولاً . ولكني تكلمت وتجلدت وصرحت بكل شيء . كما وقع ففزعت أمي فزعاً شديداً . وانفجرت في البكاء ولكن والدي هدأ من روعها فبدأت تلومني فأسكتها أبي . وقال :

ـ ان كل هذا لا يهم الآن ؟

وكان وجهه متجهماً وتمنيت لو ان الأرض ابتلعتني فلم أحاول اخفاء شيء مما حصل وقال :

ـ ان الفرصة الوحيدة امام أي مجرم اذ يكون صادقاً مع محاميه ، ولن يستطيع المحامي عمل شيء . إلا إذا علم الحقيقة كاملة . كان مركز أبي حرجاً وقد كان دائماً كثير الالمام بكل شيء . فقد كان من بين المحكمين في محكمة أولد جالاري . وكان سلوكه مهذباً . وفوق هذا كان من أكبر المحكمين في سيدني . لا يكن تخفي عليه خافية من امور الناس ، وكان بطبيعة الحال محترماً جداً .

وقالت أمي :

ـ لا داعي لأن تلوم الولد اكثر من ذلك يا جيم

فأشار بيده وقال

لقد كنت دائماً احس انه لا يفكر فيّ اطلاقاً وهذا كان يؤذيني جداً .

وكان يبدو ان المناقشة بينهما قد انتهت ، وقال والدي :

ـ ان هدسن كان اخيراً مقعداً ولا أعجب ان يكون قد عرف ما يجري من وراء ظهره .

ـ إذا قبض عليه فسوف يشنق .

فارتعدت امي وعبس وجه ابي وقال لها :

ـ لن ادعه يشنق ، لا تخافي ، ففي الامكان ان يخرج الآن ويطلق النار على نفسه .

فقالت امي :

ـ هل تريد قتلي يا جيم ؟

للاسف ان هذا لن يجدي نفعاً ـ فان الأمر يجب انهاؤه ، انا لا استطيع تحمل الوقوع في مأساة ، اننا امام معركة بغيضة في الانتخابات ، وفي هذه الحالة فلن يكون امامي فرصة .

فقلت :

ـ يا ابي إني شديد الأسف

فقال والدي :

ـ ان الاغبياء والسفهاء هم الذين دائماً يستغلون مثل هذه المواقف .

وبعد صمت قصير قلت : لا ادري ان كان اطلاق النار على نفسي هو احسن ما يمكن عمله فقال :

ـ لا تكن غبياً ان هذا سيكون له نتيجة اسوأ ـ هل تعتقد ان الجرائد بهذا الغباء بحيث لا يستنتجون ما يجب استنتاجه . لا تتكلم دعني افكر .

ـ وما العمل في زوجته ستكون في قبضة يدها دواماً انه من الأفضل ان نعتبرها زوجة بليك ، فلم تنطق امي بكلمة ، وجلس والدي على المقعد ـ ورفع رجلاً فوق الأخرى ولاحت من عينيه ابتسامة وقال :

- انا نعيش في اكبر بلد ديمقراطي ، وليس منا من هو فوق الشبهات ، وقد اراد ان يدلي الينا بهذا القول ونظر الينا برهة واطرق إلى الأرض برأسه كالعادة عندما يفكر في شيء قبل تنفيذه وقال :

- اعتقد ان اسمي سيظهر في الصحف . باكر سأذهب واقابل مسز هدسون وانا اعرف ما ستقوله واذا اصرت على ان الحادث كان انتحاراً ، فليس هناك من يستطيع تقديم ما يخالف ذلك . ويلوح لي انها سترقب كل شيء وان البوليس لن يناقشها إلا في حضوري . وقالت الأم :

- وما موقف فريد ؟

- يذهب إلى سريره ويعتكف فيه

- لكن عناية الله اقتضت ان يكون في هذه الأيام وباء الحمى القرمزية ، وان شاء الله سننقله الى المستشفى باكر أو بعد باكر .

فقالت امي :

- وما فائدة ذلك ؟

فقال لها والدي

- يا عزيزتي هذه افضل طريقة لابعاده عن أعين الناس لبضع اسابيع لندفع عنه الأذى .

فقالت امي :

- ولنفرض انه اخذ المرض .

فقال ابي :

- يكون الأمر طبيعياً .

وفي الصباح استدعى والدي طبيب العائلة وقال له . ان عندي حرارة ، وانه لا يرتاح لحالتي . وحضر الدكتور وكان خالي يشرف على حالتي الصحية منذ ولادتي ، وقال انه لا يستطيع تشخيص المرض الآن وامرت امي الطباخ والخادم الا يقتربا مني .

وفي صباح اليوم الثاني ملات اخبار الحادث صحف المساء ، وقالت الصحف ان مسز هدسن قد توجهت إلى السينما بمفردها ، ولما عادت ودخلت غرفة النوم وجدت جثة زوجها وانه ليس لديهم خادم ، وكان البيت عبارة عن فيلا على ارض مملوكة لهم ، وكان البيت المجاور بعد عشرين او ثلاثين ياردة . ولا تكن فلوري تعرف شيء عن جيرانها ، ولكنها ذهبت اليهم ودقت الباب حتى فتحوا فأسرعوا إلى المنزل فوجدوا هدسن ملقى على الأرض ، ورأى احد الجيران ان يستدعي البوليس ، وظهرت مسز هدسن في حالة هياج ، والقت نفسها على زوجها تبكي وتصيح واضطروا إلى سحبها بعيداً عنه ، وذكرت الجرائد جميع التفصيلات التي استطاع مندوبوها الحصول عليها ، فقرر طبيب البوليس ان الرجل قتل قبل ذلك بساعة او ساعتين والقتل حدث من مسدسه ولكن احتمال الانتحار استبعد بتاتاً ، ولما استعادت مسز هدسن وعيها قالت للبوليس – انها كانت في السينما ذلك المساء ، لأن زوجها قال انه عزم على السفر إلى نيوكاسل . ثم عاد حوالي الساعة السادسة ، وقال انه عدل عن السفر فخرجت وكان هذا آخر ما تعلمه عنه حياً . وكان من علامات الفزع حالة الغرفة ، وقد دافع هدسن عن حياته بقوة . ولم يسرق شيء من المنزل ، واستنتج البوليس ان الحادث كان سياسياً .

وبعد ليلتين وصلت نقالة نقلتني إلى المستشفى حيث قضيت به ثلاثة ايام او اربعة . وبعد ذلك اخرجت سراً ونقلت الى ذلك المكان الذي كان الفنتون ينتظرني فيه . فقال الدكتور :

– ولكن لا اعرف كيف حصلوا على شهادة الوفاة ؟

– انا لا اعرف عنها اكثر مما تعرف ، وظللت افكر في كيفية ذلك . فانني لا ادخل المستشفى باسم فريد بليك . وكنت اسائل نفسي عما إذا لم يكن أحد آخر دخلها باسمي ، وقد حاولوا ان يثبتوا في الأوراق ما يفيد عدم وجود وباء .. ولكن الواقع غير ذلك ، وكانت المستشفى مزدحمة

بالمرضى ، وكانت الممرضات في غاية المشغولية والارتباك الكثير واضح .
ولا شك ان شخصاً ما قد توفي ودفن متخذاً اسمي ، فان والدي كما تعرف
ماهر وهو لا يعدم حيلة التصرف .

فقال الدكتور سوندرز :

– أنا أحب مقابلة والدك .

فقال بليك :

– إن الناس بدأوا يشكون ولذا فقد رأى والدي بعد انتهاء تحقيقات
البوليس والواقع عن القصة . أن يعلن أمر وفاتي .

فقال الدكتور :

– ولهذا انتحرت السيدة .

فبدا فريد غاضباً وقال :

– كيف عرفت ذلك ؟

وقال الدكتور :

– من الصحيفة التي احضرها أربك من منزل فريث الليلة الماضية ..

فقال فريد :

– هل فهمت ان هذا كان متعلقاً بي

فقال الدكتور :

– إني فهمت ذلك حالما أخبرتني بالحكاية ولذلك تذكرت الاسم .

وقال فريد

– اني أرتعد كلما قرأتها .

فقال الدكتور :

– لماذا تعتقد انها فعلت ذلك ..

وقال :

– لأنه جاء في الصحف ، انها قالت ان روحاً شريرة أزعجتها . ولا

أعتقد ان والدي سيقتنع إلى أن يلتقي بها ..

فهل تعرف ان الشيء الذي أخجله انها لم ترد أن تتزوج من عائلتــه .. وأعتقد انه ارتاح بعد أن ابلغها اني قد مت . ولكنها كانت فظيعــة .. اني أبغضها .. ولكن يا رباه لا بد انها كانت تحبني وإلا لما فعلت مــــا فعلت .

وعند ذلك بدا على فريد بعض الحيرة برهة من الوقت ، وقد علم والدي بالحكاية كلها – ولم اطلب منه ان يقول لها اني اعترفت قبل موتي وان البوليس سيقبض عليها .

فهز دكتور سوندرز رأسه وبدا له ان هذا تحايل عجيب . ولكنــه عجيب ، لأن تلك السيدة قد اختارت مثل هذه الطريقة الحزنة للتخلص من الحياة ، بشنق نفسها .

ويبدو انها كانت مسرعة عندما فعلت ما صممت عليه . وقد بــدا أن ما افترضه فريد معقولاً .

فقال فريد :

– وعلى كل حال فانها أصبحت ولا علاقة لها بالحــادث ، وعلي أنا ان أسلك سبيلي !

فقال الدكتور :

– انت بكل تأكيد لم تحزن عليها .

فقال بليك

– أحزن عليها ؟ انها هدمت حياتي ، والشيء المؤسف ان كل شيء قد تم بمجرد المصادفة ، ولم يكن في نيتي أبداً ان يكون لي معهــا أي شأن ، ولم آذن ألمسها لو كنت اعلم انها ستأخذ المسألة جدياً ، ولو كان أبي قد سمح لي بالخروج لصيد الأسماك في يوم الأحد هذا ما كنت قابلتها ، ولا أدري مــاذا أصنع لولا انها قدمت إلى هذه الجزيرة الملعونة، يبدو لي ان سوء الحظ يتابعني

أبدا وليت .

فقال الدكتور :

– يجب أن تضع على وجهك الجميل بعض الكبريتات (يقصد ان جماله يسبب له كثيراً من المشاكل) انك بكل تأكيد خطر عام .

فقال فريد :

– أواه لا تهزأ بي . أنا انسان تعس جداً . إني لم أعن بأحد عنايتي بأريك . أنا لا أصفح عن نفسي أبداً . إني كنت السبب في موته .

فقال الدكتور :

– لا تعتقد انه قتل نفسه بسببك – ان نصيبك في هذا قليل جداً . وإذا لم أكن مخطئاً كثيراً . انه قتل نفسه لأنه لم يتحمل الصدمة عندما اكتشف ان الشخص الذي حباه الله بكل صفة طيبة – لم يكن رغم هذا إلا بشراً . ان هذا من جانبه كان جنوناً . هذا أسوأ عيوب الامبريالية (المبدأ) – ألا يعقل الناس كما هم . أليس هو المسيح الذي قال « اصفح عنهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون ؟

فتفرس فيه فريد بعينين زائغتين وقال له :

– ولكنك لست رجل دين . أليس كذلك ؟

فقال الدكتور :

– ان كل ذوي الشعور جميعاً من دين واحد – ومع هذا فان ذوي الشعور لا يتكلمون .

فقال فريد :

– ان والدي لا يقول ذلك . انه يقول ان ذوي الشعور لا يخرجون لارتكاب الجرائم وانه يبدو حسناً ان تذهب إلى الكنيسة ويجب عليك أن تحترم شعور جيرانك . وقال :

– مـــا الفائدة ان تخلع الحاجز بينما يكون في امكانك ان تجلس عليه

مسترىحاً . لقد تحدثت أنا ونيقولا في كل هذا . وقد لا تصدق انه يستطيع التحدث في الشؤون الدينية ساعات طويلة . هذا مضحك — إني لم اقابل من هو أحط منه خلقاً أو من هو دونه في الأدب . ومع هذا فهو يعتقد في الله وفي النار ايضاً . ولكنه لا يخطر على باله ابداً انه يمكن أن يدخلها . وهناك قوم آخرون يخافون من ذنوبهم ويكفرون عنها . ولكن الكابتن رجل بدين راض بحاله وعندما يقع منه أي شيء ذميم مع صديق كأنه لا يبالي انه الشخص الذي تسيره الظروف ، ولكن الله لن يترك له هذا . لقد ظننت أول الأمر انه مجرد منافق . ولكنه ليس كذلك . هذا هو الأمر الغريب .

أنا لا أحب أن أثير غضبك . ان التوفيق بين مهنة الانسان وبين تصرفاته هو من اعظم المسليات التي نراها في الحياة . انك تنظر إلى ذلك نظرة سطحية تثير في نفسك الضحك . ولكن انظر اليها نظرة عميقة — وما أنا إلا كالسفينة التي فقدت حمولتها ما معنى كل هذا . لم جئنا إلى هذه الحياة وإلى أين نذهب — وماذا نستطيع عمله ؟

— لا تنتظر يا بني العزيز مني الجواب . أليس كذلك ؟ عندما أوتي الانسان من الذكاء في أيامه الخالية في الغابات وهو يسأل هذه الاسئلة — ما هي عقيدتك ؟ حقاً أنت تريد أن تعرف . أنا لا اعتقد إلا في نفسي . وتجاربي إني أنا الدنيا بآرائي واحساساتي وكل ما عدا ذلك من قبيل الوهم والخيال . ليس كل نوع من انواع الخبرة موجود في عقلي . وبدون العقل لا يمكن وجود شيء ذي بال .

— وما الحياة إلا حلم مستمر ، وعندما تقف احلامي فان هذه الدنيا بكل جمالها وآلامها واحزانها وتصوراتها التي لا يعقلها العقل تصبح لا وجود لها .

فصاح فريد :

— ولكن هذا الكلام ليس معقولاً ولا يمكن تصديقه .

فابتسم الدكتور وقال :

- لا يهمني ان تتردد في الايمان بذلك . حسناً إني غير مستعد لأن أتعالى . إذا لا تستجب الحياة لما أريد فليس لها في نظري أية فائدة ، انها ستصبح لعبة مملة سخيفة . ولا معنى لها .. ثم لمعت عينا الدكتور وعـــلا العبوس وجهه الصغير . ثم قال :

- يا بني العزيز - ما هذا الكلام الذي لا معنى له ؟ الشباب .. الشباب - انت ما تزال شبه غريب عن هذه الحياة . مثلك الآن مثل رجل في جزيرة موحشة انك ستتعلم كيف تستغني عما لا يمكنك الحصول عليه . وان تحصل على أكبر قسط مما تستطيعه . وبقليل من الحصافة وقليل من التحايل وقليل من المرح ، تجد نفسك في راحة ما بعدها راحة . فوق هـــذا الكوكب (في هذ العالم) .

فقال فريد :

- ولكن إذا أعرض الانسان عن كل مـــا يجعل الحياة شيئاً ذا قيمة .. كما تفعل ؟

فقال الدكتور :

- إني اتشبث بالحياة ؟ إنها جميلة . أريد حياة شريفة مبتسمة بالشجاعة. وان يكون الناس على جانب طيب من الوداعة وان تسير الأمور سيراً سليماً . حتى نهايتها . يبدو ان هذا المطلب غير مبالغ فيه . أليس كذلك ؟

فقال فريد :

- لا اعرف انك تتطلب من الحياة ما هو فوق طاقتها .

فقال الدكتور :

- أكذلك تعتقد - هل يهمك هذا ؟

فقال فريد :

- ليس كثيراً .. انك لا يعنيك إلا أن تشرب البحر .

- إني لدي قدراً معيناً من المضحكات لما أراه من مجون الآخرين .

عند ذلك ظهر على فريد الغضب وتنهد تنهداً عميقاً عالياً .

ثم قال :

— انت لا تؤمن بشيء — انه نوع من العبث ان يحاول الانسان ان يمشي أو يجري .

— اخشى الا توافقني على ما اقوله .

— لقد فقدت أنت القلب والأمل — والعقيدة والخشية — فخبرني بالله ماذا بقي لك ؟

— العزم .

— ألا تتسم بالاستسلام ؟ هذا ملجأ المغلوب — هل استسلامك هذا . ؟ انا لا اريده — لست مستعداً لقبول الشرور والقبح والظلم .. لست مستعداً لأن أقف متفرجاً أرى الفضيلة تعاقب والمجرم يترك حراً .. فاذا كان معنى الحياة ان تداس الفضائل . وان تكون الأمانة موضع السخرية .. وان يقبح الجمال . فاني أحجم عن هذه الحياة .

فقال الدكتور :

— بني العزيز .. يجب ان تأخذ الحياة كما وجدتها .

فقال فريد:

— لقد ضجرت بالحياة . كما وجدتها انها تملأ نفسي بالرعب والفظاعة . انا احب ان تكون الحياة لي على ما اشتهي او لا تكون بالمرة .

ثم بدت على فريد العصبية والضيق .. وكان هذا طبيعياً وكان دكتور سوندرز يشك قليلاً في امكان استعادته لهدوئه

وقال الدكتور :

— ألم تقرأ ان الضحك هو الهبة الوحيدة التي وهبتها الآلهة للانسان تميزه عن الحيوان .

فقال فريد في برودة :

— ما تعني بهذا ؟

— لقد قلت ان احساسي الذي لا يخطىء بما يوجب السخرية قد أكسبني الاستسلام لما يجري حولي .

فقال فريد بليك :

— إضحك إذاً .. إضحك ملء قلبك !

فقال الدكتور :

— سأضحك ما استطعت ، ناظراً إلى فريد في مرح وتسامح ، ان الآلهة قد تؤذيني ولكني سأبقى منتصراً .

ولولا طرق على الباب في هذا الوقت لاستمرت المناقشة إلى غير نهاية .

فصاح فريد في غضب :

— من هذا الشيطان ؟

ثم دخل غلام يتكلم الانجليزية وقال ان شخصاً يريد رؤية فريد ، ولكنهم لم يكشفوا عن هو ، وهز فريد كتفيه وكان على وشك الذهاب ، ولكنه وقف بعد أن خطر له خاطر وقال :

— أهو رجل او إمرأة ؟

ثم كرر سؤاله عدة مرات ..

فأجاب الغلام :

— انها سيدة !

فهز فريد رأسه وقال :

— لويز . أتقول ان أبي مريض لم يستطع الحضور .

فهم الغلام هذا الكلام وانصرف ..

فقال الدكتور :

— الأفضل أن تراها .

وقال بليك

— أبداً ان رأيك كان يساوي عشراً من امثالها ، انه كان يود ان يكون

في العالم كله انني اكره التفكير فيها ، كل ما اريده ان اسافر وان انسى كيف ساغ لها ان تدوس على هذا القلب النبيل ..

ورفع الدكتور حاجبيه لأن مثل هذه اللغة تحرك شفقته وقال :

– ربما تكون غير سعيدة ..

– اعتقد انك تتهكم على كل انسان ، أانت عاطفي ؟

– ألم تعرف هذا إلا الآن .

وفتح الباب رويداً وفي سكوت ، ووقفت لويز بالباب ولم تتقدم ولم تتكلم ، ونظرت إلى فريد – وعلى شفتيها ابتسامة ضيقة ، ملؤها الخجل ، ساخرة ، ووجهها يبدو مستعطفاً ونظر اليها فريد بعين زائغة ولم يتحرك ولم يطلب منها الدخول ، وكان وجهها متجهماً وعيناها باردتين تظهر عليهما الكراهية القاسية – فتجمدت الابتسامة في شفتيها وبدت وكأنها تحاول ان تطلق زفيراً ليس من فمها ولكن بكل جسمها . كأن ألماً شديداً اصاب قلبها ، ووقفت مكانها لدقيقتين او ثلاث .

ولم يحاول احدهما ان يحرك جفنه وتقابلت نظراتهما في حسرة وشمل الهدوء الذي جاء معها ، ثم اقفلت الباب في بطء وانصرفت ، وبقي الدكتور وفريد وحدهما .. كما كانا ، وكان الموقف في نظر الدكتور غريباً ومحركاً العواطف ..

- ٢٧ -

صراحة لويز

أبحرت الفنتون عند الفجر ، واما السفينة التي كان سيسافر عليها الدكتور إلى بالي فلم يكن موعد وصولها منتظراً بعد الظهر ، لأنها كان عليها أن تبقى مدة تكفي لشحن بعض البضائع عليها .. وحوالي الساعة الحادية عشرة إستأجر الدكتور عربة وقادها إلى مزرعة سوان ، ورأى انه من غير اللائق ان يسافر قبل ان يودعه . وعندما وصل المزرعة وجد سوان جالساً على مقعد في الحديقة .. وكان هو نفس المقعد الذي جلس عليه كريستسين في تلك الليلة ، عندما رأى فريد خارجاً من غرفة « لويز »

وقضى الدكتور ذلك النهار مع سوان ، ولكن سوان لم يتذكره ولكنه كان نشيطاً كثير الحركة ، وجعل يوجه للدكتور عدة أسئلة دون ان يصبر ليتلقى الردود عليها . ثم ما لبثت لويز ان حضرت على حين غرة وسلمت ولم يبد عليها إنها اجتازت أي أزمة عاطفية ، وحيث الدكتور ينظرتها الهادئة الجذابة التي رآها بها عندما قابلها أول مرة أثناء عودتها من حمام السباحة وكانت ترتدي سارياً أحمر اللون ، بني وصدرية قصيرة من الزي الوطني . وكان شعرها الأشقر مضفراً ومربوطاً حول رأسها ، وقالت للدكتور .

ـ ألا تحب ان تدخل وتجلس ؟ إن أبي يعمل وسيحضر فوراً .

فرافقها الدكتور إلى غرفة الاستقبال ، وكانت الستائر مدلاة وكان النور

الخافت لطيفاً ولم تكن الغرفة مجهزة بوسائل الراحـة ولكنها كانت رطبة ، وكان بالمكان باقـــة من الزهور الصفراء موضوعة في إناء (زهرية) تعكس اصفرارات جميلة . ثم قالت :

— إننا لم نخبر جدي بحادث أريك . انه كان يحبــــه كثيراً لأنه كان اسكندنافياً مثله كما تعلم . وخشينا ان يؤثر عليه ذلك تأثيراً شديداً على انه ربما كان يعرف ، لا أحد يجزم بذلك فكثيرا ما تمر أسابيع على وقوع شيء وكنا نعتقد انه لم يعرف ثم يتضح العكس ..

وكانت تتكلم في هدوء وبصوت ناعم مليء وكأنها تتحـدث عن أشياء لا أهمية لها ، ثم قالت :

— إن الشيخوخة أمرها عجيب . إن لها نوعاً من الترفع ، وفيها كثير من الضياع لدرجة انه يصعب عليك ان تنظر الى متقدم في السن على انه ما زال إنساناً .. ولكن في بعض الأحيان تحس بأن السنين قد اكسبته حاسة جديدة يعرف بها أشياء لا تستطيع معرفتها .

فقال الدكتور .

— إن جدك كان في الليلة الماضية مرحاً جدا .. وآمل ان أكون في مثل نشاطه عندما أصل إلى مثل سنه

. إنه كان منفعلاً . انه يود رؤية أناس جدد ليتحدث اليهم ، ولكن بطريقة تشبه الحاكي ، ولكن عنده شيء آخر يشبه الحيوانات الصغيرة .. إنه يعرف اشياء لا نعرفها .

فلم يعلق الطبيب على كلامها . وسكتت لمدة دقيقة او دقيقتين ، ثم قالت الطبيب :

— اتحب ان تتناول اي شيء ؟

— لا ، شكرا .

وكانا جالسين على مقاعد متقابلة في جو غير طبيعي ، كأنما ينتظران شيئاً .

ثم قال الطبيب :

— إن الفنتون أبحرت اليوم .

فأجابت لويز :

— اعرف ذلك .

ثم نظر اليها في تأمل وبادلته نظرته بهدوء ثم قال لها :

— أخشى الا يكون موت اريك قد سبب لك صدمة قوية .

— كنت احبه كثيرا ..

— إنه تحدث لي كثيرا عنك في الليلة السابقة لموته ، وكان شديد الكلف بك واخبرني انه اراد الزواج منك .

ثم قالت « وهي تنظر اليه بنظرة عابرة » :

— ولماذا قتل نفسه ؟

— انه رأى هذا الولد خارجاً من غرفتك .

فنظرت الى الأرض واحمر وجهها قليلا وقالت :

— هذا مستحيل !!

— إن فريد اخبرني بذلك .. إن اريك كان هناك ورآه عندما قفز من الشرفة .

— ومن الذي اخبر فريد اني كنت مخطوبة لأريك ؟

— انا الذي قلت له ذلك .

— اظن ذلك .. كان بعد ظهر ذلك اليوم عندما حضر ولم يرني .. وعندما عدت نظر إلي نظرة من فقد الأمل .

ولم تكن حالتها تدل على اليأس ولكنها في حالة التسليم بما لم يكن منه بد وكنت تحس في نغمة صوتها عدم المبالاة .

فقال لها الطبيب :

— إذن انت لم تكوني تحبينه (اي فريد) ؟

فوضعت ذقنها على يدها لحظة كأنها تنادي قلبها ، ثم قالت :

ـ ان الأمر في الواقع معقد .

ـ على كل حال هذا لا يعنيني .

ـ انا لا يهمني اخبارك ولا يهمني ما تعتقده في .

ـ لماذا ؟

ـ ان شكله كان جميلا .. هل تذكر امسية ذلك اليوم عندما قابلتك في المزرعة انا لم استطع صرف نظري عنه . وفي العشاء عندما راقصني ، اعتقد انه لا يمكن ان يسمى هذا حباً من اول نظرة

ـ انا غير متأكد من ذلك .

فنظرت اليه لويز نظرة تعجب تحولت الى نظرة فاحصـــة كأنما أعارته التفاتاً لأول مرة وقالت

ـ انا اعرف انه اعجب بي كثيرا ومال الي ، واحسست بشيء لم يسبق ان شعرت به في حياتي قبل ذلك . واحسست اني اريده بشكل عنيف . انا في العادة انام نوماً عميقاً ولكني في تلك الليلة . ظللت قلقة طول الليل . ان والدي اراد ان يحضر اليك ترجمته وعرضت ان اركب معـــه لقيادة العربة ، كنت اعلم انه سيبقى هنا يوماً او اثنين . ولو انه امضى شهرا لما حصل ما حصـل ، فإني كنت ارى اذن ان امامنا وقتـاً طويلا ، ولو كنت اراه يومياً لمدة ساعة ما كنت عنيت بأمره . وبعد ذلك لم اندم على ما حصل ، شعرت بالرضا والحرية ، وقلقت بعض الشيء عندما تركني في تلك الليلة لقد شعرت بسعادة ولكنك تعرف اني في الواقع لم اكن اهتم اذا لم اره بعد ذلك . فقد كنت اشعر بالراحة في وحدتي وانا لا اعتقد انك تفهم ما اعني ولكني شعرت ان روحي كانت اكثر انتعاشاً ..

فقال لها الدكتور :

ـ الم تعملي حساباً للظروف ؟

فسألته :

– ماذا تعني بهذا ؟

وفهمت ما يريد ثم ابتسمت .

– اوه يا دكتور لقد قضيت كل عمري في هذه الجزيرة ، وعندما كنت طفلة كنت العب مع الأطفال في المزرعة .. وكانت احدى صديقاتي ابنة الملاحظ الذي في ارضنا في نفس سني وتزوجت من اربع سنين وانجبت ثلاثة أطفال ، انت لا تعرف الجنس واسراره الكبيرة عند بنات الملايو وانا عرفت ما قيل عنه كله .. منذ السابعة من عمري .

وسألها الطبيب :

– لماذا حضرت إلى الفندق أمس ؟

فأجابت :

– كنت شاردة الفكر ، كنت أحب اريك كثيراً .. ولم أصدق ما قيل لي من انه قتل نفسه . لقد خشيت ان اكون أنا الملومة ، وأردت ان أعرف هل فيهم شيئاً عن فريد ؟

فقال الدكتور :

– يجب ان تلومي نفسك !

فقالت :

– إني شديدة الحزن لوفاته ، أنا مدينة له بالكثير .. فعندما كنت طفلة كنت أعبده ولكن ليس اللوم واقعاً علي .

فقال الدكتور :

– وما الذي جعلك تعتقدين ذلك ؟

فقالت :

– انه لم يعرف ذلك . ولكني لست أنا التي كان يحب .. انه كان يحب أمي ولم يغب عنها هذا ، وأعتقد انها بادلته الحب اخيراً .. انه مضحك منه

ان يتجه إلى ذلك ، إنه كان صغيراً مثل ابنها ، ما أحبه في هو محاسن امي ، ولكن حتى هذا لم يعرفه .

فقال الدكتور :

ـ ألم تحبيه ؟

فقالت

ـ أحببته جداً بكل روحي ، ليس بقلبي وليس بأعصابي ، لقد كان طيباً جداً وموضع ثقة وكانت لا تعوزه الشفقة ، كان واقعياً فيه نوع من القداسة والطهر .

ثم أخرجت منديلها ومسحت دموعها ثم غلبها البكاء .

فقال الدكتور :

ـ إذا لم تكوني تحبينه فلم خطبك ؟

فقالت :

ـ لقد وعدت أمي قبل وفاتها بذلك ، واعتقد انها ستقدر حبه لها في شخصي . . وكنت كلفة به جداً ، إني أعرفه جيداً وكنا نجتمع دائماً في المنزل واعتقد انه كان راغباً في زواجي عندما ماتت أمي ولكني كنت أصبح إذ ذاك غير سعيدة . . فربما احببته ولكنه اعتقد إني ما زلت صغيرة ، ولم يرد ان يستغل الشعور الذي كان عندي في ذلك الوقت .

ـ ثم ماذا ؟

ـ إن والدي لم يكن شديد الرغبة في زواجي منه . . لقد كان يأمل ان يزور الجزيرة أحد الأمراء الانجليز ، ويأخذني معه إلى قصر سحري . أظنك تفهم تفكير أبي الخيالي . وبطبيعة الحال لم أكن أفكر في مثل هذا . وكان خلف آراء ابي شيء آخر ، انه نوع من العلم بغرائز الأشياء . . انه يعيش في السحاب إذا كنت تفهم ما أعني ، ولكن هذه السحب كثيراً ما تلمع ببرق السماء ، وأعتقد انه إذا لم يكن حصل شيء لكنا تزوجنا اخيراً وعشنا عيشة

هنيئة ، لا أحد غيره كان يستطيع ان يعيش عيشة طيبة مع اريك ، وكنت أتمنى ان أرى تلك الأماكن الجميلة التي يتكلم عنها في السويد ، ورؤية المكان الذي ولد فيه جدي ورؤية فيينا .

فقال الدكتور :

– إن من سوء الحظ اننا حضرنا إلى هذا المكان وان كان ذلك على كل حال مصادفة ، فقد كان يمكن ان نسافر إلى أمبويتا .

فقالت :

– هل كان بامكانكم السفر إلى امبويتا .. أعتقد انه القدر الذي أحضركم إلى هنا ؟

فقال الدكتور :

– هل تعتقدين ان مصيرنا على مثل هذه الأهمية .. حتى أن المقادير قضت بهذا ؟

فلم ترد عليه ثم مرت بها برهة صمت .

ثم قالت :

– إني أشعر باليؤس .

فقال الدكتور :

– يجب ان تجتهدي في إبعاد الحزن عنك .

– انا غير حزينة .

قالت هذا في نوع من الاصرار جعل الدكتور ينظر اليها بدهشة .

ثم قالت :

– انت تلومني، هكذا يمكن ان يفعل اي شخص ، لكني لا ألوم نفسي ، ان اريك قد قتل نفسه لأنه لم يعطني علماً بما في نفسه .

– آه . وعلم ان سليقتها تلاقت مع طريقة فهمه للأشياء .

ثم قالت :

— لو انه كان يحبني لقتلني او سامحني . ألا ترى انه من الغباء ان يكون جمال الجسد هو المهم عند الرجال . ألا تعلم اني عندما كنت في المدرسة في أوكلندا تنتابني نزعة تدين كما يحصل للبنات في تلك السن ، ونذرت ألا آكل شيئاً فيه سكر وبعد نحو اسبوعين كنت اتشوق إلى شيء فيه سكر .. لقد كان هذا نوعاً من التعذيب . وفي يوم من الأيام مررت على متجر الحلويات ونظرت إلى الشيكولاته في النافذة وتحرق قلبي شوقاً اليها فدخلت واشتريت نصف رطل وأكلته كله في الطريق خارج المحل . ولا أنسى ما شعرت به إذ ذاك من الراحة ثم عدت إلى المدرسة وأنكرت ما حصل . ولما اخبرت اريك بالحكاية ضحك وقال ان هذا امر طبيعي جداً وأظهر تسامحاً ، ألا ترى انه لو كان احبني لكان لديه شعور التسامح مع الآخرين ؟

فقال الدكتور :

— إن الرجال ليسوا سواء في هذه الأمور .

فقالت .

— ليس اريك ، انه كان في منتهى العقل وكان محسناً ، انا اقول لك انه لم يحبني ، انه احب مثله الأعلى . احب جمال امي وصفاتها ، طالما رآهـا متمثلة في جمالي وشخصي . وبأي حق يريد الناس ان يتخذوا من الآخرين رمزاً لشعورهم القلبي ويفرضونه عليهم . ثم يغضبون اذا كان ذلك لا يلائم من اتخذوهم رمزاً .

إنه اراد ان يسجنني في هذه الصورة الرمزية غير آبه بن اكون أنا ؟ انه اراد امتلاك روحي ذلك لأنه وجد فيها شيئاً لم ينله ، انه اراد ان يشم تلك الشرارة الصغيرة التي يراها في أمي التي هي انا ، صدى لآرائه ، انا غير سعيدة ولكني اقول لك اني لست حزينة وقل مثل ذلك عن فريد ، قال انه يود ان يبقى في هذه الجزيرة ويتزوجني ويزرع المزرعة ثم ماذا لا اعرف ،انه رسم لحياته خطة .

انه كان يريد ان يحبسني في احلامه المختلفة . ولكنها أياً كانت ، احلامه هو ، ولكنني اريد احلامي انا ، وعلى كل حال فإن ما وقع كان بلا شك فظيعاً واشعر ان قلبي بات متعباً . على اني لا اكتمك اني شعرت في قرارة نفسي بالحرية .

ولم تكن تتكلم بلغة عاطفية ولكن في تأن وبأسلوب رصين ورزانة ، يقول الدكتور : انها كانت فريدة من نوعها وجعل يستمع اليها في انتباه . ولكنه ارتعد في سريرته لأنه رأى فيها حقيقة النفس البشرية المجردة ، تلك الغريزة الواضحة التي دفعت هذه الكائنات من بدء تاريخ العالم الى ان يصححوا طرائقهم دون ان يتدبروا الفرص التي تصادفهم ، ولم يعرف بعد ما سيؤول اليه امر هذه الفتاة .

وسألها الدكتور :

– هل رسمت طريق مستقبلك ؟

فهزت رأسها وقالت :

– انا لا استطيع الانتظار ، اني في مقتبل العمر ، وعندما يموت جدي سيؤول إليّ كل ما هنا . ربما ابيعه .. إن والدي يريد الذهاب الى الهند ، ان هذا العالم فسيح .

فقال الدكتور :

– لقد آن وقت الذهاب فهل استطيع توديع ابيك قبل الانصراف .

فأجابت :

– سآخذك إلى مكتبه .

وتقدمته الى ممر يؤدي الى غرفة صغيرة في ناحية من البيت ، فوجد فيرث جالساً على مائدة مزدحمة بالمخطوطات والكتب . مكباً على الآلة الكاتبة ، وقد نزلت نظارته الى انفه يفصل العرق الذي كان يتساقط منه وقال فيرث :

– هذه هي الكتابة الأخيرة للفصل الأخير . امسافر انت ربما لا أتمكن

من عرضه عليك .

ونسي فيرث ان النوم غلب على الدكتور عندما قرأها له قبل ذلك بصوت مرتفع ولو انه تذكر ما قال .

فقال :

- لقد قاربت النهاية ، انه عمل شاق ومع ذلك فلا اعتقد اني وصلت به الى نهاية ناجحة . ولكن الفضل في ذلك راجع الى تشجيع ابنتي ، انها فتاة متينة الخلق سديدة الرأي وسيكون لها القسط الأكبر من ثروتنا .

فأجابته :

— لا تجهد نفسك كثيراً في العمل يا ابي .

فقال لها :

— ان الوقت يمضي بسرعة .

فوضعت يدها برفق على كتفه ونظرت إلى الورقة التي يكتب فيها وهي مبتسمة وقد ادهش الدكتور مرة اخرى هذا الحب والرقة التي كانت لويز تعامل بها اباها . وانها بثاقب فكرها لم تستطع ان يفوت عليها ان تقوم تعبه المقيم .

ثم قال الدكتور :

— ما اتيت هنا لإزعاجك يا عزيزي .. انا اريد ان اودعك .

فقال فيرث :

نعم .. طبعاً .

ووقف فقال :

— انه يسرني ان اراك .. اننا في مثل هذه الحياة الراكدة نادراً ما نرى زائرين .. ونحن نقدر عطفك لحضورك جنازة كريستسين بالأمس، إن علينا نحن البريطانيين ان نتكاتف في مثل هذه الظروف .. ان لذلك اثره في نفس الهولنديين ، لا لأن كريستسين بريطانياً، ولكن لما رأيناه من خصاله

الحسنة منذ حضر الى الجزيرة . على كل حـــال ينتمي إلى نفس البلاد التي تنتمي اليها الملكة الكسندرا ، هل تتكرم بتناول كأس من الفراولة قبل انصرافك ؟

فقال الدكتور :

— لا داعي لذلك لأنه يجب ان انصرف الآن !

فقال فيرث :

— ازعجني جداً ما ذكره البوليس بأن شدة الحرارة كانت هي سبب وفاة اريك انه كان يريد الزواج من لويز ، وانا مرتاح بعدم موافقتي ، انـه كان ينقصه ضبط النفس .

- ٢٨ -

الخاتمـــة

وبعد مرور شهر على ما تقدم كان دكتور موندرز جالساً في الشرفـة الصغيرة المقربة في فندق دايك بسنغافورة ، في ساعة متـأخرة بعد ظهر ذلك اليوم .

وكان من مكانه هذا يشرف على الطريق تحته ، وكانت السيارات تنهب الطريق . والعربات التي تجرها الخيول القوية الصغيرة .. والنـاقلات التي يحملها رجال عارية أقدامهم تحدث فرقعة أثناء السير ..

وأهل اقليم تابيل بقاماتهم الطويلة النحيلة يتسكعون في الطرقات تقرأ في حركاتهم الخفيفة صفحات كتاب يحكي عن ليالي مظلمة لماض بعيد جـداً . والأشجار تظلل الطريق وأشعة الشمس التي تتخللها تلتقي على الأرض في شبه دوائر منتظمة ، والنساء الصينيات في سراويلهن يضعن في شعرهن دبابيس ذهبية المزينة يتبخترن بين الظل والشمس كأنهن عرائس .. وبعض النقـاشين الصغار يسيرون في الطرقات بقبعاتهم القش الواسعـة .. وبعض الجنود يمشون هنا وهناك في ملابسهم النظيفة معجبين بوظائفهم .

وبدأت حرارة النهار تنخفض ، ومال لون الشمس إلى اللون الأصفر الذهبي ونسمة الهواء تقول لك ان الحياة تناديك أن تعيشهـا بسهولة ، ثم مرت رشاشة ماء تلقي ماءها على الطريق المترب .

وقد قضى الدكتور أسبوعين في جاوة ، وهـا هو الآن يستعد لركوب أول سفينة إلى هونج كونج ومنها إلى فوشو .

قضى الدكتور أسبوعين في جاوه شعر بعدهما بالسرور لهذه الرحلة التي أراحته من الضجيج الذي كان يعيش فيه مدة طويلة ، وحررته من قيود العادات التي لا فائدة منها ..

واستراح لأول مرة من كل الارتباطات المادية ، واستمتع بكل جوارحه براحة النفس واستقلالها .

لقد كان شعوره رائعاً عندما يحس أن راحة نفسه في هذه الدنيا يمكن أن يجدها دون الحاجة لأحد .

وقد وصل — في حدود تفكيره — إلى الزهد في متطلبات الحياة على طريقة المتصوفين وأصحاب مذهب بوذا .

وبينما هو كذلك إذا بشخص من الخلف يضع يده على ظهره ، ولما نظر اليه وجد انه كابتن نيقولا الذي قال :

— لقد كنت ماراً في الطريق ، ولما وقع نظري عليك رأيت أن أصعد لأراك ..

فدعاه الدكتور للجلوس وتناول شيء من المشروب .

فقال القبطان :

— لا مانع ..

ثم تابع الكابتن نيقولا :

— إني متألم من أسناني .. لقد كنت على حق فيما قلته لي في الماضي .

وكانت هيئة نيقولا في ملابسه ومنظره العام غير نظيفة .. وقد ذهبت لطبيب أسنان ، فنصحني بخلعها وقال لي ، انها تسبب ما ألاقيـه من سوء الهضم .

ثم نظر اليه الدكتور ولاحظ ان إحدى أسنانه الأمامية قد خلعت ..

مما زاد في سوء منظره .

ثم قال نيقولا

- إن هذا الشاب المسكين قد انتهى إلى نهاية محزنة ..

وقال الدكتور :

- ماذا تعني ؟

فقال الكابتن .

- لقد ألقى بنفسه إلى الماء .. أو ربما يكون قد سقط من السفينة دون أن يشعر أحد ، ولم نكتشف ذلك إلا في الصباح .

فقال الدكتور :

- في عاصفة !

وتشكك الدكتور فيما سمع ..

فقال الكابتن ·

- لا .. إن البحر كان في مثل هدوء البركة ، إن حالته المعنوية كانت سيئة ، عندما بارحنا كندا . ثم ذهبنا إلى باتافيا حسب برنامج رحلتنا واعتقدت انه كان ينتظر وصول خطاب هناك ، ولكني لست أعرف إن كان قد وصله أم لا . ولم أشأ أن استفهم منه .

وقال الطبيب :

- وكيف يصعد إلى ظهر السفينة دون أن يفطن أحد إلى ذلك ؟ أين كان الشخص المسؤول عن الدفة ؟

فقال نيقولا :

- لقد شرب فريد الكثير في تلك الليلة - وهذا أمر لا يعنيني ، ولما نصحته بأن لا يكون معقداً .. قال هذا ليس من شأنك ، فقلت له - وهو كذلك - إفعل ما تحب . أنا لا أريد أن أكدر صفوي في تلك الليلة - بالتدخل . في شأنك

فقال له الدكتور :

- ومتى كان ذلك ؟

وقال القبطان :

- في يوم الثلاثاء الماضي . من أسبوع مضى !

فأسند الدكتور ظهره إلى مقعده ، إذ ان الخبر كان له وقع سيء في نفسه إذ لم يكن قد انقضى وقت طويل منذ كان هذا الفتى جالساً معه يتجاذبان أطراف الحديث . وقد بدا للدكتور إذ ذاك ان عند فريد نوعاً من البساطة وسلامة النية والتطلع إلى المستقبل والطموح الذي لم يكن خالياً من الجمال ، وكان من المحزن أن يتصوره الانسان الآن - تتقاذفه الأمواج في قطاعة تحت رحمة الله . إنه كان لا يزال حدثاً ، وعلى الرغم من آراء الدكتور الفلسفية فإنه شعر بالأسى الشديد لما علم بوفاة هذا الفتى .

ثم استمر الكابتن يقول :

- إن هذا الحادث كان ثقيلاً جداً على نفسي ، لقد كسب فريد كل نقودي في اللعب - وقد لعب كثيراً بعد أن تركناك .. ودعني أقول لك - ان حظه كان مدهشاً ، أنا واثق اني كنت أمهر منه في اللعب - ثق من اني أنا الجالس أمامك والذي لاعبته ..

وقد ضاعفت الرهان - فهل تعرف انه بالرغم من هذا ؟ لم أربح وجعلت تساورني الشكوك بأنه قد يكون هناك سر .. لا أفهمه في تلك اللعبة ، وكان في إمكاني ان ألاحظ أي غش لو حاول ذلك . ولكنني لم الحظ - وبالاختصار عندما قمنا من باتافيا كان قد استولى مني على كل مليم حتى نقود الرحلة ..

وبعد هذا الحادث كسرت صندوقه إذ اننا كنا اشترينا صندوقين في بيروك ، فلم أجد به شيئاً حتى ولا عنواناً لأبلغ الحادث لأقاربه .

وأنا في غاية الدهشة من هذا الأمر كما اني لم أجد في الصندوق نقوداً

بالمرة .. فإن هذا القذر الصغير كان قد حمل كل نقوده في حزامه الذي كان يلبسه عندما غرق !

فقال الطبيب .

- لا بد أن هذا كان خيانة لك ؟

فقال القبطان :

- أنا لم أكن أحبه .. أبداً - فقد كان منحرفاً ، وكان يعلم ان تلك النقود هي نقودي الخاصة ..

ربما كنت تقول لي انه كان في إمكانه ان يكسب مثل هذه النقود - إذ لعب في أي مكان ..

ولا أدري ماذا كان موقفي إذا لم أكن استطعت أن أبيع السفينة إلى أحد الصينيين في باتنج ويدا لي انه استغفلني ..

فقال الطبيب :

- إن ما حدث امر غريب .

واستبعد أن تكون تلك الرواية صادقة ، لأن كابتن نيقولا قد ملأه بالاشمئزاز ..

ثم قال الطبيب :

- يبدو انك لم تحاول دفعه إلى الماء عندما كان ثملاً ؟

فصاح به القبطان :

- ماذا تعني بهذا ؟

وقال له الدكتور :

- انك لم تعلم ان النقود في حزامه .. فإن مثل هذا المبلغ كان كنزاً خالصاً لك ، واني لا أستبعد أن تكون فعلت هذا مع ذلك الشخص البائس ؟

فعبس وجه الكابتن ولمعت عيناه في بريق شديد ..

ثم شوهدت إمرأة بدينة قصيرة تصعد درجـــات السلم ترتدي ملابس نظيفة وعلى رأسها قبعة كبيرة من القش . ولكنها اشبه بقيمة الرجال ، ذات عينين جاحظتين تضيئان كأنهما زرا حذاء . .

وكانت تبدو مغيظة وثائرة .

وإذا بالكابتن يلهث في استغراب قائلا :

– يا إلهي . زوجتي العجوز . .

ثم نظرت اليه نظرة احتقار قابلها بنظرة إعجاب اضطراري .

ثم قالت له

- واسنانك ؟ ماذا فعلت بسنك الأمامية يا كابتن ؟

فضحك متخلفاً السرور وقال :

– من كان يظن اني سألقاك يا عزيزي ، إنها لمفاجأة سارة .

فقالت له :

– دعنا نذهب لنأخذ الشاي يا كابتن

فأجابها :

- كما تحبين يا عزيزتي

ثم وقف وخرجا سوياً . . وسار خلفها . . وعلى وجهه علامـــات الاهتمام .

أما دكتور سوندرز ، فـــإنه لم يعرف حتى الآن حقيقة موضوع فريد بليك .

ولكنه تبسم في عبوس ، لما رأى الكابتن نيقولا يسير صامتاً خلف زوجته .

ثم هبت فجأة نسمة رقيقة داعبت أوراق الشجر .

ووجدت بعض أشعة الشمس من خلال الأوراق طريقها إلى حيث كان يجلس الدكتور ، وبدت كأنها تتراقص من عبث النسيم . .

وطافت بخاطره لويز بشعرها الأشقر ، إنها كانت أشبه بتلك الفاتنات الساحرات اللاتي أحببن الناس حتى الموت ..

على انها كانت ربة بيت ماهرة تؤدي عملها المنزلي في اناة وتؤدة .. تنتظر ما يأتي به الغد ، ولو ان هذا الغد حقق لها ما يدور في خلدهـــا لكان هذا من أعز أمانيها ..

وبعد فإن لويز لم تكن الا وهماً وخيالاً .

— تمت —